تاريخ الدروز

في بيروت

١٠١٧م - ١٩٧٥م

حافظ أبو مصلح



دار الفنون
للطباعة
والنشر
والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد لسلمان الفارسي عليه السلام وأهل بيته

كتبه علي بن أبي طالب عليه السلام ومهره النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان بحضور طلحة والزبير وسعد وسلمان والمقداد وأبو ذر وعمار وعتبة وبلال وجماعة آخرون من المؤمنين رضي الله عنهم وهذا نصه ...

هذا كتاب لأهل بيت سلمان • إن لهم ذمة الله وذمتي على دمائهم وأموالهم في الأرض التي يقيمون فيها سهلها وجبلها ومراعيها وعيونها • غير مظلومين ولا مضيق عليهم • من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمؤمنات • فعليه أن يكرمهم ويبرهم ولا يتعرض لهم بالأذى والمكروه • وقد رفعت عنهم جز الناصية والجزية والحشر والعشر إلى سائر المؤن والكلف • ثم إن سألوكم فأعطوهم • وإن استغاثوا بكم فأغيثوهم • وإن استجاروا بكم فأجيروهم • وإن أساؤوا فاغفروا لهم • وإن أسيء إليهم فامنعوا عنهم • ولهم أن يعطوا من بيت مال المسلمين في كل سنة مائتا حلة في شهر رجب ومائة في الأضحية ومن الأواقي مائة • فقد استحق سلمان ذلك منا لأن فضل سلمان على كثير من المؤمنين • وأنزل في الوحي علي • إن الجنة إلى سلمان أشوق من سلمان إلى الجنة • وهو ثقتي وأميني • تقي نقي ناصح لرسول الله والمؤمنين • وسلمان منا أهل البيت • فلا يخالفن أحد هذه الوصية فيما أمرت به من الحفظ والبر لأهل بيت سلمان وذراريهم ومن أسلم منهم ومن أقام على دينه • ومن خالف هذه الوصية فقد خالف الله ورسوله وعليه اللعنة إلى يوم الدين ومن أكرمهم فقد أكرمني وله عند الله الثواب • ومن آذاهم فقد آذاني وأنا خصمه يوم القيامة جزاؤه نار جهنم • وبرئت منه ذمتي والسلام عليكم • •

كتب هذا العهد علي بن أبي طالب بأمر رسول الله في رجب سنة تسع من الهجرة •

وجد هذا العهد في تاريخ [illegible] نقله المصنف [illegible] ثم الأمر وأبقاه بكتاب الشهاب [illegible]

[illegible] في مناقب [illegible] [illegible] الناشر • التاريخ [illegible] •

بيروت الشياح – سوق معوض تلفون: خليوي ٠٣/٢٦٤٧٠١

فاكس: ٦٠١٠١٩ - ٦٠٣٣٧٩ - ص.ب ١٥٤ - ٢٥ - الغبيري



تاريخ الدروز

تاريخ الدروز في بيروت

١٠١٧م - ١٩٧٥م

حافظ أبو مصلح





طبعة أولى
١٩٩٨ م - ١٤١٨ هـ

دار الفنون
للطباعة
والنشر
والتوزيع

لبنان / بيروت - الشياح - سوق معوض التجاري
خلوي ٠٣/٢٦٤٧٠١ فاكس: ٦٠١٠١٩-٦٠٣٣٧٩-ص.ب ١٥٤-٢٥-الغبيري

كلمة الناشر

يسر دار الفنون أن تحظى بنشر هذا الكتاب القيم للمؤرخ الاستاذ حافظ أبو مصلح الذي يعتبر مرجعاً مهماً في تاريخ الدروز.

وقيمة هذا الكتاب أنه ألقى الضوء على فترة مهمة من تاريخ بيروت أيام الفاطميين والمماليك والعثمانيين حيث أوكل حكمها الى التنوخيين والمعنيين الدروز الذين دام حكمهم لها مئات السنين.

وهذا ما لا يعرفه أكثر الناس.

في هذا الكتاب دعوة إلى الألفة ونبذ التعصب، والتمسك بالمفهوم الوطني الصحيح، الذي لا يتم إلا على يد سلطة وطنية يتساوى فيها الشعب على اختلاف طوائفه وأديانه ومناطقه.

وقد أضاف المؤرخ إلى كتابه توضيحاً كافياً عن الأجاويد وهم شيوخ الدين لدى الدروز، في مفاهيمهم وحياتهم ونظرتهم العامة الى الكون والإنسان.

كما يمكن للقارىء أن يتعرف الى المعتقد الدرزي على حقيقته من خلال التصوير الدقيق والصادق لحياة أولئك الأجاويد الموحدين الطاهرين.

وقد ذكر المؤلف السبب الذي دفعه الى كتابة هذا التاريخ، تجده أيها القارىء في الصفحات الأولى.

وأخيراً، نأمل أن يحظى هذا الكتاب باهتمام القراء.

سالم قشور
دار الفنون

اللهم
أنر عقولنا بوحي منك
بعد أن عجز العلم المتطور
الذي خدعنا،
عن إصلاح ما فسد فينا.

وضع هذا الكتاب
إثر إلحاق درزي واحد للمرة الأولى
إلى جدول المرشحين للنيابة في بيروت
سنة ١٩٩٢

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

عَهْدٌ لِسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

كَتَبَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُهْرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ بِحُضُورِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ وَسَلْمَانَ وَالْمِقْدَادِ وَأَبُو ذَرٍّ وَعَمَّارٍ وَعُتْبَةَ وَبِلَالٍ وَجَمَاعَةٍ آخَرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنهم وَهٰذَا نَصُّهُ ..:

هٰذَا كِتَابٌ لِأَهْلِ بَيْتِ سَلْمَانَ ٭ إِنَّ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّتِي عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يُقِيمُونَ فِيهَا سَهْلِهَا وَجَبَلِهَا وَمَرَاعِيهَا وَعُيُونِهَا ٭ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُضَيَّقٍ عَلَيْهِمْ ٭ مَنْ قُرِئَ عَلَيْهِ كِتَابِي هٰذَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ٭ فَعَلَيْهِ أَنْ يُكْرِمَهُمْ وَيَبَرَّهُمْ وَلَا يَتَعَرَّضَ لَهُمْ بِالْأَذَى وَالْمَكْرُوهِ ٭ وَقَدْ رَفَعْتُ عَنْهُمْ جَزَّ النَّاصِيَةِ وَالْجِزْيَةَ وَالْحَشْرَ وَالْعُشْرَ إِلَى سَائِرِ الْمُؤَنِ وَالْكُلَفِ ثُمَّ إِنْ سَأَلُوكُمْ فَأَعْطُوهُمْ ٭ وَإِنِ اسْتَغَاثُوا بِكُمْ فَأَغِيثُوهُمْ ٭ وَإِنِ اسْتَجَارُوا بِكُمْ فَأَجِيرُوهُمْ ٭ وَإِنْ أَسَاؤُوا فَاغْفِرُوا لَهُمْ ٭ وَإِنْ أُسِيءَ إِلَيْهِمْ فَامْنَعُوا عَنْهُمْ ٭ وَلَهُمْ أَنْ يُعْطَوْا مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ حُلَّةٍ فِي شَهْرِ رَجَبٍ وَمِائَةً فِي الْأُضْحِيَةِ وَمِنَ الْأَوَانِ مِائَةً ٭ فَقَدِ اسْتَحَقَّ سَلْمَانُ ذٰلِكَ مِنَّا لِأَنَّ فَضْلَ سَلْمَانَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٭ وَأُنْزِلَ فِي الْوَحْيِ عَلَيَّ ٭ إِنَّ الْجَنَّةَ إِلَى سَلْمَانَ أَشْوَقُ مِنْ سَلْمَانَ إِلَى الْجَنَّةِ ٭ وَهُوَ ثِقَتِي وَأَمِينِي ٭ تَقِيٌّ نَقِيٌّ نَاصِحٌ لِرَسُولِ اللهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ٭ وَسَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ ٭ فَلَا يُخَالِفَنَّ أَحَدٌ هٰذِهِ الْوَصِيَّةَ فِيمَا أَمَرْتُ بِهِ مِنَ الْحِفْظِ وَالْبِرِّ لِأَهْلِ بَيْتِ سَلْمَانَ وَذَرَارِيهِمْ ٭ وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ وَمَنْ أَقَامَ عَلَى دِينِهِ ٭ وَمَنْ خَالَفَ هٰذِهِ الْوَصِيَّةَ فَقَدْ خَالَفَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَعَلَيْهِ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَمَنْ أَكْرَمَهُمْ فَقَدْ أَكْرَمَنِي وَلَهُ عِنْدَ اللهِ الثَّوَابُ ٭ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ٭ وَأَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَزَاؤُهُ نَارُ جَهَنَّمَ ٭ وَبَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّتِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ ٭ .

كَتَبَ هٰذَا الْعَهْدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ .

ويوجد هذا العهد في تاريخ گزيده تأليف المستوفي القزويني بكتابه نشر الترجمن وأيضاً في كتاب الشهاب بالجليل

سلمان الفارسي بين العرب والفرس والترك لمؤلفه الدكتور حسين مجيب المصري القاهرة « التوزيع دار مقابل »

معنى كلمة بيروت

جاء في معجم العربي المستعجم للاستاذ اللغوي كمال أبو مصلح ما يلي عن معنى اسم بيروت:

بِيْرات: جمع بئر بالتسهيل وبالإمالة يقترب صوت الألف من صوت الواو، فيلفظ «بِيْروت». وبئر مؤنث معنوي. وهو في أذهان القدماء وفي عقلهم الباطن ـ وهم أبناء اللغة ـ كأنه مختوم بتاء التأنيث. فجمعه على بِئْرات أقرب الى الاستعمال والى الملكة، من جمعه على آبار وأبآر وأبؤُر وبئار.

بئرات: جمع بِئْرة. وهي الذخيرة أي الخبيئة الثمينة من كل شيء. وقد تطلق على ما تختزنه الأرض في جوفها من الماء. أو تطلق على الأرض ذات الماء المخزون نفسها.

والبيرة هو مسهَّل البئرة سميت به أماكن كثيرة جداً في الأقاليم.

بئيرات: مخففها بيرات، وبالإمالة بيروت. والبئيرة والبئرة واحدة.

أما القول بأن بيروت لم تكن للعرب حين سميت، فهو اعتراض مردود، فالعربية في كل حال هي أقرب اخواتها الى اللغة الأم. أما القضية التاريخية فشأن فيه لغط وخلط، وأخذ ورد، وتحريف وتزييف، وادعاء وافتراء. لا يتسع لشرحه في هذا المقام الضنك الذي يحتاج الى أوجز الوجيز من الكلام.



مقدمة

يبدأ تاريخ الساحل الشامي مع تدفق بعض القبائل العربية إليه، في الموجات السامية الزاحفة الى الشمال من شبه الجزيرة العربية، عن طريقين اثنين هما:

١ ـ شاطىء البحر الأحمر.

٢ ـ ضفاف الفرات وبادية الشام.

والقبائل العربية السامية التي بلغت هذا الساحل، توزعت على مصاب الأنهر، ومنابع المياه الغزيرة والسهول الخصبة، حيث أنشأت المدن والممالك التي عرفنا بعض تاريخها، من آثارها ورقمها، وما كتبه القدماء عنها.

لكن بيروت لم تكن من هذا القبيل. والتاريخ لم يحمل الينا عنها ما يستحق الذكر، إلا ما كان في عهد الرومان الذين برعوا في استنباط المياه، وعرفوا أن البقعة التي قامت عليها بيروت هي أرض منبسطة على بحر من المياه الحلوة تملأ جوفها، ويمكن استخراجها بحفر آبار غير ذات عمق.

ولو لم يذكر هؤلاء الرومان أنهم أنشأوا مدرسة للحقوق، لما كان لهذه المدينة اسم ولا ذكر في التاريخ.

وبما أن هذه المدينة كانت قريبة من دمشق، وتعتبر منفذاً اليها[1] اهتمت بها الدولة الإسلامية وأرسلت إليها وإلى جبالها الحاميات، مهتمة بتحصينها وتسليحها. وبقيت بيروت على هذه الحال من ضعف الشأن، حتى اتخذتها

---

(١) قال ابن حوقل العربي: «بيروت التي على ساحل بحرالروم، هي فرضة دمشق وساحلها. وبها يرابط أهل الشام وسائر جندها. واليها ينفرون عند استنفارهم».

دول الغرب الاستعمارية مركزاً لسياستها في الشرق الأوسط. ثم ازدهرت أهميتها بعد أن انقلبت عاصمة الدولة اللبنانية التي تأسست سنة ١٩٢٠م ونالت استقلالها سنة ١٩٤٣م.

لكن ما يهمنا في هذا الكتاب هو فترة وجيزة من هذا التاريخ الطويل الذي اختلف في تدوينه المدونون، واختلف في تفسيره المفسرون، وكتبه كل على النسق الذي يريده، واتجه فيه الاتجاه الذي يلائمه، حتى ضاعت الحقيقة بين المتعصبين والمعتدلين، وضاع القارىء المستنير في ما يقرأ، حتى بات لا يصدق هذا ولا يكذب ذاك، ولا يصدق ذاك ولا يكذب هذا.

إن هذه الفترة الزمنية التي تهمنا من هذا التاريخ في هذا الكتاب، هي فترة الحكم التنوخي لبيروت وما تلاه من حكم المعنيين.

فإن نقف في تاريخ بيروت عند هذه الفترة، فإنما نقف عند موضوع ذي شأن. وله قيمة، إهمالها انتقاص لحق، وتبديل لوجه، وصرف لقارىء التاريخ عن علم يعتبر تخطيه والاكتفاء بلمحة بسيطة عنه، أمراً يتطرق اليه الشك في النوايا.

إن اهتمامنا بهذه الفترة من تاريخ بيروت إذاً، أمر وطني لا تعصب فيه ولا أنانية فردية أو فئوية، لأنه يظهر حقيقة يجب أن تجلى.

والتنوخيون وهم أول من اعتنق الدعوة التوحيدية الدرزية المعلنة سنة ١٠١٧م، هم الحجر الأساس في تاريخ هذا البلد. وتاريخهم أعظم ما فيه التمسك بالوحدة الوطنية، وجمع الشعب في مفهوم الألفة التامة، بعيداً عن التعصب الطائفي والمذهبي الذي حاولت الدول المسيطرة أن تزرعه في نفوس المواطنين.

كما أني سأكتفي من بيروت القديمة، بذكر بعض الأماكن التي تهم فضول القارىء، كالخانات والأبراج والأسواق والأمور التي تمر عرضاً.

تمهيـد

الدروز، لا يبدأ وجودهم بتاريخ نشر الدعوة. هم يؤمنون أنهم عريقون في القدم. فقد كانوا رسل التوحيد منذ بدأ الإنسان تاريخه الفكري.

وهم لا ينحصرون في بقعة واحدة من العالم. فلهم في كل أرض جماعة موحدة، وإن اختلفت الأسماء. إنهم موحدو الديانات فما تجده عند الموحدين تراه في حكماء الشرق وفلاسفة اليونان. تعاليم أرسطو وأفلاطون وافلوطين وفيثاغورس وعلوم المصريين ومعارف غيرهم من الحكماء الروحيين... واليهودية والمسيحية والإسلام تجدها في كتبهم. وهم يعيشون في مفاهيمها، ويقدسون ما جاء فيها من عمق وبعد وإنسانية وعقلانية. وهذا ما أبعدهم عن التعصب الديني، وأعطاهم حكمة احترام الديانات وأصحابها. فهم موجودون في كل فكر إنساني وكل دين توحيدي.

وأهم ما عندهم البحث عن الذات الجوهرية في ذواتهم، وارتباط الأشياء والكائنات بالجوهر الكلي، والحياة الارضية عندهم، ما هي إلا دورة لاكتشاف المعارف والتطهر بالعلوم الروحانية. وهي نقطة خرجت من دائرتها واتسعت لتعود في النهاية الى منبعها.

وأنت، إذا لقيت جويداً درزياً متألقاً، فأنت أمام جسد غلّفه روح شفاف يلوح في صمته البليغ. وهو صورة المطلق يرسمها ذهنك في خيالك.

ومن المعاصرين الذين مثلوا عقيدتهم بعمقها ومعارفها وشمولها، كمال

جنبلاط. كما مثلها من قبل علماء روحيون كالأمير السيد عبدالله التنوخي، والشيخ الفاضل والشيخ زين عبد الغفار والأشرفاني وغيرهم.

ولكننا في هذا الكتاب سنتكلم عن دور الموحدين الدروز السياسي والاجتماعي في بيروت بعد اعتناقهم دعوة الحاكم بأمر الله وظهورهم للملأ.

والدعوة الدرزية التوحيدية هي ككل الدعوات التي سبقتها، ارتكزت على فلسفة لاهوتية ومعارف روحانية ومدارك عميقة الجذور في التاريخ. وقد أنشىء لها تنظيم تبشيري دقيق انتشر في الأصقاع المعروفة آنذاك، القريبة منها والبعيدة.

إنها دعوة لها مميزاتها وأبعادها ومعتقداتها ومفاهيمها الروحية. وهي وإن كانت جزءاً من كل كباقي الدعوات، فقد اتخذت شخصية مستقلة، ونحت منحى خاصاً حتى أصبحت واقعاً روحياً وفكرياً كان له دور على الصعيد السياسي والفكري والروحي والاجتماعي[1].

---

(١) راجع كتاب: واقع الدروز وتاريخ ديرالقمر لحافظ أبو مصلح.
راجع كتاب: الظاهرالخفي لحافظ أبو مصلح.

بيروت أيام الحكم الفاطمي

٩٦٨ ـ ١١١٠م

كان ثغر بيروت أضعف موقع على الساحل الشامي. لذلك كان دائماً عرضة لغزوات الروم. فأنفذ الفاطميون أيام الحاكم بأمر الله جماعة من المريدين التنوخيين ليدافعوا عن المدينة ويمنعوا المغيرين من التسلل الى الداخل، مساندة لاخوانهم داخل المدينة(١).

وسكن عدد من التنوخيين بيروت بينما بقي قسم آخر يرابط في المدينة وقتاً ثم يعود الى معقله الجبلي في جبال بيروت. ولم تكن بيروت مدينة كما هي اليوم، بل أشبه ببلدة صغيرة يعيش أهلها على الزراعة وصيد الأسماك. لذلك لم يستطع ساكنوها حمايتها. وكان على الفاطميين أن يؤمنوا تلك الحماية، برجال أشداء أوفياء يقاتلون حباً بالعقيدة لا طمعاً بالغنائم. إذ لم يكن في الدفاع عنها أي مغنم مادي يحصل عليه المقاتلون، من مغيرين لا يحملون إلا الحديد والنار. ولا همّ لهم إلا النهب والسلب والدمار.

وكان سكانها بقايا البيزنطيين والفرس الذين أتى بهم معاوية بن أبي

---

(١) الحاكم بأمر الله تسلم الحكم في مصر وعمره احدى عشرة سنة. أنشأ دار الحكمة سنة ١٠٠٥م وسنة ١٠١٧م أظهر الحاكم الدعوة التوحيدية اتي عرفت بالدرزية. وكان إمامها حمزة بن علي يعاونه الحدود، أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد التميمي وأبو عبدالله محمد بن وهب القرشي وأبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري وأبو الحسن على أحمد الطائي المعروف بالمقتني بهاء الدين. وكانت غيبة الحاكم سنة ١٠٢١م. وكانت القاهرة في عهده من أعظم الحواضر ازدهاراً وعمراناً وثقافة وعلماً وغنى. قرّب اليه العلماء والأدباء والفقهاء وحثهم على العطاء وأكرمهم. ولد في مصر سنة ٩٨٥م.

سفيان، مع فئة بيروتية أصيلة هي رواسب الموجات السامية التي منها التنوخيون[١].

وحين تقبل التنوخيون دعوة التوحيد التي عرفت بالدرزية خطأ، كانوا الحكام الفعليين لبيروت بصفتهم أصحاب الغرب أو بصورة أدق، أصحاب جبال بيروت، يدافعون عنها ويحمون أنفسهم وأملاكهم وعيالهم فيها. كانوا يقاتلون المغيرين بشراسة واستهانة بالموت. ولم تستطع قوة أن تحكم جبالهم وتستمر فيها، وإن كانت تهاجمهم وتخرب مساكنهم على حين غرة ثم تعود الى معاقلها في بيروت حين تفتتحها[٢].

وفي سنة ١٠٤٧م كان متولي بيروت أبا سعيد قابوس أمير الغرب. وكان من معتنقي الدعوة التوحيدية مع رجاله سكان بيروت والغرب. وسنة ١٠٩٨م تمكن الفاطميون من طرد السلاجقة من بيروت. وكان التنوخيون فيها فجرت المعارك على أشدها. وكان لهجوم التنوخيين من داخل المدينة وخارجها أكبر الأثر في تحرير المدينة. وفي سنة ١١٠٣ حاول بلدوين الأول ملك بيت المقدس هجومه على بيروت، لكنه فشل في فتحها. وسنة ١١١٠م أعاد بلدوين الأول هجومه على بيروت. لكن الأسطول الفاطمي، وقد أخذ درساً سنة ١١٠٨م من سقوط طرابلس، جاء الى بيروت. وكانت معركة عنيفة أبدى فيها البيروتيون وفيهم أتباع الدعوة الجديدة بطولة فائقة. فلم يستطع الصليبيون دخولها بعد حصار دام أكثر من أحد عشر يوماً.

استنجد بلدوين بأسطول جنوى فسقطت بيروت، ونكّل الصليبيون بالأهالي وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، فقتل في أرض المعركة من التنوخيين عضد

(١) كان عدد سكان بيروت قليلاً جداً لا يصل الى الألف نسمة حتى بلغ سنة ١٨٠٥م خمسة آلاف نسمة وسنة ١٨٤٠م حوالى خمسة عشر ألف نسمة. وسنة ١٩٢٠ حوالى مائة ألف نسمة، أما اليوم فيبلغ عدد سكانها نصف مليون نسمة.

(٢) سقطت بيروت سنة ٩٧٥م أيام الحكم الفاطمي في يد الدولة البيزنطية لفترة قصيرة بقيادة الملك يوحنا زيميسيس الذي لقبه العرب بابن الشمشقيق.

الدولة الأرسلاني مع اثنين وعشرين من رجاله.

كما أن الأمير عضد الدولة حارب الصليبيين كذلك سنة ١١٠١م في معركة نهر الكلب[١].

وفي سنة ١١٢٤م انتهى الحكم الفاطمي للمنطقة. وسقطت المقاومة على الساحل الذي تمركز فيه الصليبيون، فبنوا منذ ذلك قلعة بقيت قائمة حتى ١٨٥٦م.

والمهم هنا أن الفاطميين لم يضطهدوا الفئات الإسلامية التي لم تكن على مذهبهم. فلم يفتكوا بالمذاهب الاخرى ويضيقوا عليها الخناق، بل كانوا يعلون دولة الاسلام. وكانت حروبهم ضد بعض المتآمرين عليهم سياسية لتوطيد حكمهم وتثبيت مراكزهم والحفاظ على قوتهم كما حدث مع القرامطة مثلاً[٢].

---

(١) نذكر من الذين قتلوا مع الأمير عضد الدولة: موسى بن ابراهيم وأولاده الصغار - القاسم بن هشام وولده إدريس - مودود بن سعيد وولداه أسد وزهير - مالك بن مصطفى بن عون - عبيد بن معضاد - يحيى بن الخضر وأخوه يوسف - علي بن حليم بن فارس الفوارسي وأولاده وأخوته وبنو عمه فانقطعت بهم سلالة بنو فوارس.

(٢) قامت دولة القرامطة في البحرين سنة ٨٩٠م على يد حمدان ثم أبي سعيد الجنابي. ونقل القرامطة الحجر الأسود من مكة سنة ٩٢٩م الى بلادهم الأحساء (البحرين) ولم يعيدوه إلا بضغط من الخليفة المنصور ثاني خلفاء الفاطميين في المغرب وذلك سنة ٩٥٠م. وقد هاجم الحسن بن أحمد القرمطي الملقب بالأعصم مدينة دمشق وانتصر على واليها الفاطمي جعفر بن فلاح الكتامي وقتله سنة ٩٧٠م. ثم احتل الرملة في فلسطين وهاجم مصر. لكن المعز لدين الله أرسل جوهراً وصد الهجوم. ثم عاود الأعصم هجومه على مصر ٩٧٣م. لكن المعز انتصر عليه بعد أن اتصل بحلفائه الطائيين وتابع هجومه حتى طرده من الشام. وفي ٩٧٤م هاجم القائد العباسي التركي الجنسية أفتكين دمشق وأخرج منها الفاطميين وقائدهم جوهر. لكن العزيز بالله عاد وانتصر على أفتكين ومناصره الأعصم ودخل دمشق سنة ٩٧٧م.

من هم القرامطة:

=

ولولا تصرف عمال الظاهر السيء بحق الدروز لخلا تاريخ الفاطميين من أية نقطة سوداء. والظاهر كان قد غلى في صدره الحقد على هذه الفئة الموحدة التي لم تقبل به ولا بإمامته.

وما يعنينا حقيقة هو أن الخلفاء الفاطميين كانوا يقاتلون الروم قتالاً عظيماً، لأن هؤلاء أعداء العرب والإسلام. وقد أثقلوا كاهل الحكومات العربية المتتالية بالغارات والحروب. وحين دخل الفاطميون الشام والساحل الشامي بأسره، لم يضطهدوا الشعب ولم يفرقوا بين المسلمين. كانوا يفتتحون الأماكن، فإذا دخلوها منحوا حقوق العيش بكرامة لجميع المواطنين على اختلاف مللهم ونحلهم، فلم يفعلوا ما فعله المماليك بحق من لم يكونوا على مذهبهم.

= جماعة إسماعيلية انتفضت في وجه الخلفاء الذين ظلموا واغتصبوا حسب رأيها حقوق الآخرين في السلطة وأفسدوا في حكمهم حتى ازدادت حاجة الناس وكثر عدد المظلومين من الشعب، لذلك قامت بإصلاحات مهمة، تأميناً لراحة الشعب وفك عقدة الفاقة أمام المعوزين. فلم تفرض ضرائب على الناس. وكان الناس يساعد بعضهم بعضاً. وكانت الدولة تقدم لكل صاحب صنعة مالاً يؤمن به صناعته. كما أن مطاحن الدولة كانت تطحن للشعب مجاناً. كما كانت هذه الدولة القرمطية تقرض المحتاج المال الذي هو في حاجة اليه ليرده بعد تحسن حاله دون أية فائدة. لذلك اكتسب القرامطة قوتهم من الشعب الذي وجد فيهم الحامي لحقوقهم والمدبر أمورهم، المحب العطوف، الساعي الى إبعاد الفقر عن الرعية. وقد اتصف القرامطة بالشجاعة في القتال الى درجة العنف فكأنما هم ينتقمون من أصحاب المال والسلطة التي تحكمهم. وهم لا يقومون بشعائر الصلاة ولا يصومون. لكنهم يؤمنون بالنبي محمد(ص). كانوا في ثورتهم يحطمون وينهبون ويشعلون ولا يخلفون وراءهم غير الدمار. وهذا دليل على الحقد الذي يغلي في صدورهم على أصحاب السلطة. إنهم مجموعة من الفقراء والموتورين والمظلومين الذين رأوا أن الأغنياء هم وحدهم الذين يحكمون. والغني في حكمه لا يرحم. فالشعب أولى بالسلطة لأنه يحس بآلام الناس من خلال ألمه. ويدرك مشاكلهم الاجتماعية والنفسية والمادية من خلال حاله».

وحتى أيام الحاكم بأمر الله رأس الدعوة التوحيدية، لم يذكر أن نوعاً من التعصب ظهر منهم في الشام وفي ولاياتها بالرغم من الافتراءات التي نسبت إليه في مصر. وأكثرها من خلق خصومه بعد غيابه وفور تسلم الظاهر[1].

---

(١) يعود الفاطميون بنسبهم الى الإمام علي وفاطمة الزهراء. وهم إسماعيليون اختلفوا مع غيرهم من الشيعة بعد وفاة جعفرالصادق سنة ٧٦٥م حين حصل الخلاف حول من يخلفه. فانحاز فريق إلى ابنه موسى وهذا الفريق يعرف بالشيعة الاثني عشرية التي وقفت عند الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن الذي غاب سنة ٨٧٤م وتنتظر عودته.

وتمسك الفريق الآخر بإمامة اسماعيل وعرف بالإسماعيلية. وعبيد الله المهدي الذي أسس الدولة الفاطمية في المغرب هو من ذرية إسماعيل. وحاول العباسيون تشويه نسب الفاطميين بعد أن فشلوا في مقاومتهم عسكرياً، فلجأوا الى الإشاعات ينشرونها بين الناس.

وقد أسس الفاطميون دولة عظيمة جداً قضت على الدويلات التي قامت في أواخر العهد العباسي، وجمعت العالم الاسلامي تحت لوائها، آخذة على عاتقها مقاومة الروم. وكانت مرهوبة الجانب، قوية المنعة، شديدة الحرص على العدالة ونشر الدعوة واحترام حقوق الناس. ويتغنى الشريف الرضي في بغداد بابن عمه الخليفة الفاطمي في مصر مثبتاً نسبه فيقول:

ما مقامي على الهوان وعندي مقـول صـارم وأنـف حمـي
من أبوه أبي ومولاه مولاي إذا ضامني البعيد القصي
لفّ عرقي بعرقه سيِّدا الناس جميعـاً محمـد وعلـي

باشر جوهر القائد الفاطمي بعد فتحه مصر سنة ٩٦٦م ببناء القاهرة والجامع الأزهر سنة ٩٧٠م. وكانت الدعوة الاسماعيلية الفاطمية بدأت في السلمية في دور الستر، وبثت دعاتها في جميع الأقطار حتى أنشأت دولتها في المغرب شمالي افريقية سنة ٩٠٩م، أقامها أبو عبيدة المهدي الذي أتم بناء مدينته المهدية سنة ٩٢٠م. ودامت فترة بنائها ثماني سنوات، حتى كان الحاكم بأمر الله فاتخذت الدعوة في عهده منحى جديداً وفلسفة روحية متطورة شكلت مفاهيمها مسلكاً خاصاً عرف =

= بالدرزية التي من الأصح أن يطلق عليها «الدعوة التوحيدية». وما يجب أن يعرف أن القرامطة والنزاريين ويرأسهم حسن الصياح، والبهرة والدروز جميعهم اسماعيليو المنشأ.

إنجازات الحاكم بأمر الله:

١ ـ منعه الرقيق. ٢ ـ تحريره العبيد. ٣ ـ توزيع أملاك الدولة على أصحاب الحاجات والحقوق. ٤ ـ التوفيق بين السنة والشيعة. ٥ ـ إنشاء دار العلم التي تعرف ايضاً بدار الحكمة. ٦ ـ تركه إبهة الملك والاكتفاء بالعيش العادي البسيط. ٧ ـ أمره ألا تقبل الأرض بحضرته ولا يقبل ركابه. ٨ ـ سيره وحيداً بلا حاشية. ٩ ـ قرّب اليه العلماء كالمسبحي وأبي الحسن علي بن يونس العالم الفلكي، وأبي علي الحسن بن الهيثم عالم الفيزياء والبصريات.

المسبحي:

المعروف بعز الملك. مؤرخ كبير وعالم من علماء الأدب. ولد في مصر سنة ٩٧٧م وتوفي سنة ١٠٢٩م. اهتم به الحاكم بأمر الله وأوكل اليه أعمالاً عديدة أهمها ترتيب المال. له في التاريخ كتاب شهير بعنوان «تاريخ مصر». كما أن له في الأدب كتاباً قيماً بعنوان «التلويح والتصريح». أحبه الحاكم وترك له متسعاً من الوقت لقراءة ما شاء من كتب دار الحكمة.

أبو علي الحسن بن الهيثم:

عالم في الفلك والرياضة الطبيعية. ولد في البصرة لكنه قصد مصر لما سمع عن علومها ودارها ورجالها أيام الحاكم ولازم القاهرة. له كتاب شهير في البصريات عنوانه «علم المناظرة»، وكانت لهذا الكتاب شهرة تعدت دنيا العرب الى أوروبة فترجم الى اللاتينية واتخذ كتاب تدريس في البصريات حتى العصر الوسيط. ويقال إن العالم الانكليزي بايكون كان شديد التأثر به.

أبو الحسن علي بن يونس:

كانت وفاته سنة ١٠٠٨م. وهو مخترع رقاص الساعة. استقدمه الحاكم بأمر الله من العراق. ومن الأسماء الشهيرة التي اهتم بها الحاكم يحيى بن سعيد الانطاكي المسيحي، والفقيه السني أبو بكر الأنطاكي وغيرهم كثر.

المفهوم الفاطمي:

وكان الدروز بالرغم من استيائهم من الفاطميين بعد مقاومة الظاهر لهم واضطهادهم[1]. لا يساندون الصليبيين عليهم وإن كانوا أحياناً يتريثون في مساندتهم خارج بيروت. لأنهم كانوا يعتبرون بيروت منفذهم البحري وباب تجارتهم الى الاراضي المصرية. ومن شيمة الموحدين الدروز منذ وجودهم السياسي في لبنان، أنهم يحاربون أية دولة أجنبية تحاول السيطرة على منطقتهم وأرضهم. وكان لجبالهم المنيعة وقدرتهم القتالية وبأسهم شأن كبير جعل الدول المتعاقبة على حكم هذه المنطقة تسالمهم وتترك لهم حكم مناطقهم لقاء

= النبي محمد(ص) هو صاحب الوحي أي ما يعرف بالتنزيل. أما استخراج المعاني الحقيقية فصاحبها الإمام. وتنتقل المعارف والعلوم الروحانية من إمام الى إمام عبر الزمن. وهذا ما يعرف بالتأويل في نظرية المثل والممثول أي الظاهر والباطن أي الشريعة وعلم الحقائق. والإمام مستودع النور، والنور إبداع من الله. وقد خص الله الإمام بالعلم والحقائق وجميع المعارف الروحية.

وقد نزّه الفاطميون الله فليس له مثيل ولا صفات ولا أسماء. وهم يؤمنون أن للقرآن ظاهراً وباطناً. فالظاهر عندهم إقامة الأركان الخمسة الإسلامية والباطن هو الإيمان الذي خص الله فيه الأئمة لتأويل معنى القرآن. والله ليس من جنس العقول لكي تدركه العقول، وليس جسماً حتى يراه البصر. كما أنه لا يحل في جسم. والله في كماله لا يمكن أن يصدر عنه ناقص، لذلك أبدع العقل. والعقل ممثوله الإمام.

قال ابن هاني الاندلسي في المعز:

ما شئت. لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

ويقول العزيز بالله الفاطمي:

أنا ابن رسول الله غير مدافع تنقلت في الأنوار من قبل آدم

وقال الأمير تميم ابن المعز وأخو العزيز:

ما أنت دون العالمين سوى روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره تناهياً جاز حد الشمس والقمر
فأنت بالله دون الخلق متصل وأنت لله فيهم خير مؤتمر

(١) الظاهر عدو الدروز. لاحقهم في كل مكان وفي عهده حدثت الفتنة المعروفة بمحنة

الوفاء أو عدم العداء. وكان لا بد قبل كل شيء أن يترك لهم غالباً أمر الدفاع عن بيروت وحكمها، لأنها لم تكن من المنعة والقوة والعدد ما كان لطرابلس وصيدا وصور مثلاً[1].

---

(١) انطاكية سنة ١٠٣٢م. لم تقتصر مقاومة التنوخيين الدروز للصليبيين في ثغر بيروت فقط، بل كانوا سداً منيعاً في حلب ضد البيزنطيين الذين احتلوا انطاكية سنة ٩٦٩م، فطردوهم نهائياً من حلب أيام الحاكم بأمر الله. وكان الدروز في حلب قوة يحسب لها حساب. وكان إذا مرّ شيخ الدروز أسرع الناس هناك يقبلون ذيل ردائه.
وكانت مكافأتهم على إخلاصهم محنة أوقعها بهم الظاهر بالتعاون مع البيزنطيين أنفسهم. وهي محنة رهيبة سفاكة يذكرها الدروز في تاريخهم.

بيروت أيام الحكم الصليبي

سقطت بيروت بيد الصليبيين سنة ١١١٠م[١]. ودام حكمهم لها حتى سنة ١١٨٧م استعادها صلاح الدين الأيوبي[٢] الذي دام حكمه لها وبعده ذريته حتى سنة ١١٩٧م. ثم استعادها الصليبيون حتى سنة ١٢٩١م وبعدها استقرت بيد المماليك حتى سنة ١٥١٦م.

فور احتلال الصليبيين بيروت بنوا فيها قلعة ظلت قائمة حتى ١٨٥٦م. وحكم الصليبيون بيروت فقط بينما بقيت جبالها وأطرافها في يد أمراء الغرب التنوخيين وعلى رأسهم الأمير بحتر بن شرف الدولة بن تنوخ. وجاء بعده ولده كرامة الذي كان ينازع الصليبيين في بيروت ويساند والي دمشق المملوكي[٣].

---

(١) قتل في فتح بيروت سنة ١١١٠م الأمير عضد الدولة. وكان بطل معركة نهر الكلب ضد الافرنج سنة ١١٠١م وقد كان الأمير عضد الدولة التنوخي حاكماً على بيروت وصيدا والغرب.

(٢) ولد صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٣٧م توفي في دمشق سنة ١١٩٣م. وقد لقب بالملك الناصر. وهو من قبيلة الهذانية الكردية. ولد في تكريت ونشأ في دمشق. وقد ذاعت شهرته في قتال الصليبيين. أنجب سبع عشرة ذكراً وأنثى واحدة. وقد زار صلاح الدين بيروت ثلاث مرات الأولى سنة ١١٨٢م يوم فشل في استعادتها من الصليبيين، والثانية سنة ١١٨٧م حين دخلها صلحاً، والثالثة سنة ١١٩٢م يوم عقد الصلح مع الصليبيين.

(٣) كان الاتصال بدمشق يتم بوساطة الحمام الزاجل، أو خيل البريد في النهار. أما في الليل فبوساطة النار. كانت تشعل على مرتفع خارج بيروت فتشعل بعدها نار على جبل بيت مري ثم على جبل الكنيسة فجبل قاسيون فوق دمشق.

لذلك اضطر كرامة الى التحصن في حصن سرحمول الواقع على جبلٍ فوق بيروت مشرفاً عليها إشرافاً تاماً. وتوصل الأمير البيزنطي اندونيكوس كوميتوس حاكم بيروت أن يهادن أولاد الأمير كرامة بن بحتر التنوخي محاولاً صداقتهم تجنباً لهجوماتهم المتكررة، داعياً إياهم الى الصيد من وقت لآخر[1]. وذات مرة دعاهم الى عرس ولده، فقصدوا بيروت تلبية للدعوة وكانوا ثلاثة أخوة. أما الأخ الرابع حجي فكان صغيراً وبقي عند أمه في حصن سرحمول. وإبان الاحتفال استدرجهم ادرونيكوس الى أحد البساتين وقتلهم جميعاً. ثم هاجم حصن سرحمول وهدمه، لكن حجي نجا منهم بعد أن هربت به أمه وكان عمره سبع سنين وذلك سنة ١١٧٤م. وكانت هذه الحادثة انتقاماً من التنوخيين الذين انتصروا على الأفرنج سنة ١١٥١م في معركة الغدير جنوبي بيروت.

نرى هنا تضحيات الدروز في مقاتلتهم أعداء الإسلام والسلام وتمسكهم بالأرض وعلاقتهم الدائمة والثابتة مع دمشق.

كان قصد الصليبيين القضاء على الأمراء التنوخيين ليتسنى لهم بذلك السيطرة على منطقتهم المحيطة ببيروت بعد أن أقضوا مضاجعهم وعكروا صفو أمنهم. إذ عاش الصليبيون في قلعة المدينة وكانوا يخشون الخروج أبعد من سورها لأنهم كانوا يدركون قوة هذه الجماعة القليلة العدد، المعتنقة نظرة جديدة لإصلاح ما فسد في نفوس المسلمين وتنقية ما طرأ على الإسلام من شوائب أثرت في رسالة النبي محمد(ص) الذي يعتبره الدروز عنوان العقل في هذا الدور من التاريخ، ورسولاً كريماً ونبياً عظيماً.

وكان من الحظ السعيد أن نجا الأمير حجي من الاغتيال ليعيد مشاريع أجداده ويعمل مثلهم على الحفاظ على الأرض والكرامة معاً.

---

(١) تسلم اندرونيكوس الحكم سنة ١١٦٧م.

وفي سنة ١١٨٧م هاجم صلاح الدين الأيوبي الذي أطاح بالفاطميين في مصر سنة ١١٧١م بيروت. فلاقاه الامير جمال الدين حجي وساعده على حصار بيروت. فاستسلم الصليبيون عند ذلك خوفاً من صلاح الدين الذي انتصر عليهم انتصاراً باهراً في عكا[١]. وترك لهم صلاح الدين طريق الفرار الى صور.

وبعد فتح بيروت لمس صلاح الدين رأس الامير جمال الدين حجي وقال له:

ــ لقد أخذنا بثأرك من الافرنج.

بنى صلاح الدين اسطولاً بحرياً مستعيناً بمنجم الحديد في أراضي التنوخيين. والمهم هنا أن صلاح الدين لم ينحُ منحى الصليبيين التعصبي فيقهر المسيحيين، بل أعطى لكل المواطنين الحرية على اختلاف مذاهبهم أن يبقوا أو يرحلوا. فرحل الخائف وبقي قسم ممن لم يكن على دين الاسلام في بيروت.

وأيام صلاح الدين الأيوبي، كان التنوخيون يقومون بحراسة الساحل، متصدين لأية غارة يحاول الصليبيون أن يقوموا بها من صور. وقد ساء الصليبيين أن يهزمهم صلاح الدين فقرروا الانتقام والعودة الى احتلال الساحل الشامي من بيروت حتى عكا، للاحتفاظ ببيت المقدس.

حتى كانت سنة ١١٩٧م فعاد الصليبيون الى بيروت. وكان الايوبيون بعد وفاة صلاح الدين سنة ١١٩٣م قد ضعفوا لخلافات بينهم على تركة أبيهم. ولما شعروا بسقوط المدينة هدموا سورها محاولين هدم القلعة وتخريب البيوت والاعتداء على الآمنين. لكن متولي بيروت أسامة بن منقذ بمساندة التنوخيين داخل بيروت وقف في وجههم ومنعهم من تخريب المدينة[٢].

---

(١) دام حكم صلاح الدين لبيروت عشر سنوات من ١١٨٧م - الى ١١٩٧م.

وحين هاجمها عموري لوزنيان ملك قبرص سلمها أسامة بضغط من التنوخيين كي يحفظوا آثار المدينة وأرواح العباد، وكان الصليبيون قد أقاموا في بيروت الكنائس والمنازل والمخازن التجارية، فلم يهدمها أسامة انتقاماً.

وبالرغم من استسلام متولي بيروت للقوات الصليبية بقي التنوخيون أسياد جبالهم الممتدة الى الساحل حول بيروت. ولم يستسلموا للصليبيين بل ظلوا يقاتلونهم كلما حاولوا الخروج من المدينة الى ضواحيها. لذلك لم يجرؤ الصليبيون التوغل خارج بيروت خوفاً من بسالة التنوخيين الذين لم ترهبهم السفن البحرية ولا المناجيق ولا أعداد الجنود الوفيرة. بل ظلوا يتعاونون مع الأيوبيين في دمشق حتى زوال حكمهم.

بعد صلاح الدين بدأت دولة المماليك سنة ١٢٦٠م في مصر. فحررت الشام من حكم الايوبيين والمغول وكان عليهم محاربة الصليبيين لطردهم من بيروت والساحل الشامي.

والمماليك بالرغم من تعاونهم مع التنوخيين أثاروا مسألة عقيدتهم واتهامهم ببعدهم عن الإسلام، لإثارة الفتن الطائفية في أرض دخلوها ليتسنى لهم حكمها عن طريق خلافات أهلها. كما كان العثمانيون بعد ذلك الخنجر الدامي في خاصرة الوطنية حين أثاروا نفوس المسلمين على الدروز بحجة أنهم أصحاب الخلافة الإسلامية وهم في الحقيقة أبعد ما يكونون عن هذا المفهوم. لذلك تصدى لهم المعنيون الذين حققوا التلاقي المذهبي في مناطقهم بما فيها بيروت[١].

= سلم الحصن ما عليك ملامة لا يلام الذي يروم السلامة
فعطاء الحصن من غير حرب سنة سنها لبيروت أسامة

(١) الدول الاسلامية غير العربية، اتخذت الدين وسيلة لإثارة عصبية المذاهب الإسلامية ضد بعضها البعض، والمتاجرة بمذهب السنة. ولا يغيب عن الذهن ابن تيمية وفتاواه المعروفة.

وكيف لا يكون الدروز من الإسلام وقد أقاموا الجوامع والمساجد، لا بزندقة سياسية كما ينسب اليهم. هل رأيت قوة صليبية حاكمة أعلت في مناطقها مئذنة؟

هل شيد الصليبيون الجوامع؟ وبنى الفرنسيون المساجد؟

ما يؤسف له ونحن في عصر العلم والمعرفة أن يشك البعض في إيمان الدروز. وهم القلة التي لا تسعى الى زيادة عددها في الهرب من الموت والقتال لتأمين أكثرية حاكمة. والدروز ليسوا في حاجة الى صك براءة من أحد لإثبات إيمانهم ووطنيتهم، فمعاركهم ضد الأجنبي كافية لتشهد بذلك.

المفهوم الوطني الصحيح، هو أن تحترم الأكثرية في أية أرض من العالم آراء الآخرين ومعتقداتهم ومفاهيمهم ما دامت كلها تصب في بناء الوطن. الطبيعة الإنسانية ترفض التعصب والشقاق. وحتى الطبيعة الجغرافية لا تبحث في هوية من عليها. فالأرض لمن آخاها واحترمها ودافع عنها وأخلص لها.

على جميع اللبنانيين الذين أصبحت بيروت اليوم عاصمتهم، أن يكونوا لها عاصمة للوطن، قبل أن تكون عاصمة أديانهم ومذاهبهم. يكفي هذه الأرض ويلات ومذابح منذ دخلها العثمانيون حتى اليوم، وكان آخرها فتنة ١٩٧٥ المشؤومة والهدامة والمخجلة. لكن بالرغم مما رافقها من حوادث يندى لها جبين كل عاقل ومخلص، لم تستطع أن تقضي على المفهوم الإنساني والوطني بشكل عام.

هذه المؤامرة المبيتة التي أكلت نفوس المتهورين، ورافقها تعديات طائفية متعصبة غرقت في بحرها الطوائف، لم تقوَ على تفكيك أواصر البلد وفصم العرى بين المواطنين، فبقيت هناك فئة صامتة لم تشارك في تنفيذ المؤامرة، بالرغم مما لاقته من قهر وتعسف من اخوانها في الطائفة أو الدين.

فإذا كان بعض الزعماء قد أشعلوا النار، فلا نبرىء الزعماء الآخرين من

الانجراف وإشعال نار مقابلة بحجة الدفاع.

كان أكثر السياسيين هنا لا يحترمون الدين ولا الإنسان ولا المثل، فتلطخت نفوسهم برضاء المستعمرين. كانوا هنا في هذه البقعة الصغيرة من العالم، يتخذون الدين كياناً طائفياً قائماً على مخططات عاطفية للوصول الى غايات تكشفت فيما بعد أنها مكاسب خاصة لا تمت الى المصلحة العامة بصلة.

كل من يعمل لمصلحة طائفية محض، يقضي على طائفته وعلى بقية الطوائف.

ما أكثر التصاريح التي كان يطلقها الزعماء، يقف المواطن أمامها اليوم مشدوهاً حائراً. لقد زال القناع وأدرك الشعب الذي ناضل بعفوية بطلان ما كان يحارب من أجله.

هل تكون هذه المؤامرة هي الأخيرة؟ وتكون ايضاً عبرة لأبناء هذا البلد المنكوب بأكثر زعمائه؟ هل يصحو الناس من نوم الجهل والغباوة؟

هل يستيقظ فينا روح الحق والحقيقة فنبني من جديد نفوساً صالحة قائمة فعلاً على مبادىء الأديان الداعية جميعها الى المحبة والأخوة وإصلاح المجتمعات؟

رب.. أنر عقولنا بوحي منك بعد أن عجز العلم المتطور الذي خدعنا، عن إصلاح ما فسد فينا.

القلة الواعية من الشعب استطاعت أن تؤثر حتى في صمتها على سير الفتنة بين بعض المواطنين، فضمدت بوعيها جروح الطائفية، وقهرت الزعامات المتاجرة بالسياسة والدين، متحملة العسف والقتل احياناً، لتكون ضحية الوطنية الصحيحة الصادقة القائمة على خنق بذور الشقاق طائفياً وحزبياً وطبقياً.

ما دفعني الى هذا القول التاريخ بماضيه. فالأساليب الطائفية ما زالت سلاحاً بيد المستعمرين منذ قيام الديانات ولا سيما في هذه البقعة الحساسة جغرافياً واستراتيجياً. وعسى أن لا تذر قرنيها الايديولوجيات بعد أن تشيخ الطوائف، فيكون سلاح المتربصين خلافات عقائدية تحل محل المشكلات الطائفية.

والطائفية بمفهومها التعصبي لا الفكري مرض خبيث. لكنها كانت في بدايتها اجتهادات علمية أو فلسفية أو إصلاحية قادت الى خلافات في الرأي اكتسبت على مر الوقت اسم «الطائفية» التي نشكو منها اليوم.

وما يمنع أن يصبح تعدد الايديولوجيات فيما بعد، سبباً لنزاعات رهيبة تخرب البلد، فترث آلام الطائفية فتفرق وتشتت وتقاتل؟

المهم إذاً الحس الوطني وذوبان الأفكار جميعها روحية كانت أم سياسية في مصلحة الوطن. فكل فكر لا يسعى الى بناء مجتمع سليم بأساليب علمية راقية شريفة متطورة.. عرضة لأن يتخذ منه معتنقوه حجة كافية للشجار والنزاع، كما يتخذ اليوم المتاجرون بالأديان والمذاهب حجة للخلافات.

هذا كلام مختصر لا بد منه ونحن نكتب عن بيروت، واجهة هذا البلد الصغير لبنان الذي لم يعرف الراحة منذ ولادته، لأنه لم يعش إلا على حساب الدول المستعمرة. وقد انتقلت طبعاً مفاهيم التعصب الديني الى بيروت عبر التاريخ، فاتخمنا بكتابات عن بيروت المسلمة وبيروت المسيحية. لكن الحقيقة أن بيروت بقيت خالية من أية صبغة دينية. فالبيزنطيون لم يستطيعوا أن يجعلوا بيروت بلدة مسيحية والدول الاسلامية لم تتمكن من صبغ بيروت بالإسلام ولو رفعوا الجوامع وأكثروا الخلايا. والصليبيون ما قدروا أن يعجنوا تراب بيروت ونفوس أهليها بالصليبية ولو رفعوا الكنائس وهدموا الجوامع. بيروت هي الثابتة بأهليها الوافد أكثرهم من الجزيرة العربية.

والتنوخيون الذين أخذوا على عاتقهم حماية بيروت وشواطئها لم يفكروا في إسلامها أو مسيحيتها. وإنما أدركوا أن أهم ما يجمع الشعب مصلحة واحدة وهم مشترك ودفاع عن أرض هي لكل سكانها. لذلك لم يتاجروا بالدين وهم العرب القادمون لحماية الارض ونصرة الأهلين المهددين بالسلب والقتل والنهب[1].

---

(١) جاءت الموجة التنوخية الثانية من الجبل الأعلى قرب حلب سنة ٨٢٠م. ونزلت في كسروان وعمرت قلعة «نبا» وهو اسم أحد أمرائها. ومن كسروان رحل الأمير تنوخ بن قحطان الى سرحمول واستوطنها، وكان فيها قبله الأمير منذر بن مالك. كما انتشر بعض التنوخيين في سهل البقاع. صعد بنو فوارس وعمروا عين دارة. وبلغ بنو شويزان نهر الصفا ونهر الباروك وعمروا عين زحلتا، أما بنو عبدالله فاستقروا في طردلا ورمطون وعبيه وعين كسور وعرمون وكفرزبيد.

أما الدعوة التوحيدية التي اعتنقها التنوخيون، فقد أعلنت سنة ١٠١٧م. ثم توقفت بعد سنة واحدة لخلاف بين الداعي تشتكين الدرزي وحمزة بن علي. هاجم الدرزي الحدود الخمسة في جامع ريدان سنة ١٠١٩م لكنه هزم وقتل، ثم توقفت الدعوة مرة ثانية بعد غياب واستتار حمزة. واستؤنفت سنة ١٠٢٧م على يد بهاء الدين الحد الخامس. أما الدرزي فقد وفد الى مصر سنة ١٠١٧م ولم يأت وادي التيم كما تؤكد بعض المصادر. وحين تجلى اللاهوت في الحاكم سنة ١٠١٧م انتقلت الإمامة الى حمزة بن علي.

اللاهوت هو ذات الله الذي لا يدرك. والناسوت هو النور المنعكس على ذات الإنسان من القدرة الإلهية. إنه التجلي وهو ليس تجسيداً ولا حلولاً. ولكنه ظهور يبدو كانعكاس الصورة في المرآة. الصورة لا تحل في المرآة. قال الحلاج:

سبحان من أظهر ناسوته   سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً   في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه   كلمحة الحاجب للحاجب

وكان الحاكم بأمر الله هو آخر مقام للتجلي حسب العقيدة الدرزية. وقد أخذت هذه العقيدة فلسفتها الروحية من مصادر الحكمة المصرية وروحانيات الشرق ومعارف اليونان. وتأثرت بالإسلام وإخوان الصفا والمعتزلة وبجميع الديانات القديمة والمنزلة ويقول الدروز: =

= إن الله أبدع من نوره العقل الكلي، ولما شط العقل بقدرته وركبه غرور قوته، أظهر له الباري الضد من نوره. ثم انبثقت النفس من العقل، والكلمة من النفس، والسابق من الكلمة والتالي من السابق، ومن التالي خرجت الأفلاك والطبائع الأربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. إذاً: الحدود خمسة وهي نوعان روحاني وزماني والحدود الزمنية هم:

١ ـ حمزة بن علي باللون الأخضر وهو العقل أي علة العلل. ٢ ـ الشيخ أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد بن حامد التميمي وهو النفس أي المشيئة، إدريس زمانه واخنوخ أوانه باللون الأحمر. ٣ ـ الشيخ الرضي أبو عبدالله محمد بن وهب القرشي باللون الأصفر، وهو الكلمة سفير القدرة وعماد المستجيبين. ٤ ـ الشيخ أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري باللون الأزرق، وهو السابق الجناح الأيمن. ٥ ـ الشيخ المقتنى بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي، وهو التالي باللون الأبيض.

أما الحدود عند الفاطميين حسب الترتيب فهم: العقل، النفس، الجد الفتح، الخيال. والجد والفتح والخيال في العقيدة الدرزية حدود للتالي.

ويؤمن الدروز بالتقمص أي التناسخ، يعني انتقال الروح من جسم إنسان الى جسم إنسان آخر. ونحن نجد في القرآن والانجيل آيات تدل على التقمص:

«الروح هو الذي يحيا، أما الجسد فلا يفيد شيئاً» إنجيل يوحنا

«إن يوحنا المعمدان قام من الأموات» إنجيل مرقص

«من لم يولد من بطن أمه مرتين لم يبلغ ملكوت السماء»

«وكلما نضجت جلودهم بدلنا جلوداً غيرها» سورة النساء

«ومنها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى» سورة طه

والتقمص عند الدروز ليس مسخاً أي انتقال الروح الى جسم حيوان. ولا فسخاً أي انتقالها الى نبات، ولا رسخاً أي انتقالها الى جماد.

ويؤمنون في تقمصهم بالنطق.

وليس للأرواح في مفهومهم مكان تستريح فيه. فهي تنتقل بعد الموت مباشرة من جسم ميت الى جسم مولود جديد. لذلك يعتقدون أن عدد الأنفس في العالم لا يزيد ولا ينقص.

وعن التجلي الذي يقول به الدروز وينكره البعض عليهم، نشير الى الأقوال =

= التالية:

قال الإمام علي: «الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته»

«وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة» سورة القيامة

«تجلى الله لموسى» الكتاب المقدس «وظهر ملاك الرب

«الذي يراني يرى الذي أرسلني» إنجيل متى

«الذي رآني فقد رأى الاب» إنجيل يوحنا

«بسمع الاذن قد سمعت عنك، والآن رأتك عيني» سفر أيوب

الصفات الدرزية المفترضة في كل موحد

١ ـ صدق الليان

٢ ـ حفظ الاخوان

٣ ـ ترك العدم والبهتان

٤ ـ البراءة من الأبالسة والطغيان

٥ ـ التوحيد للمولى في كل عصر وزمان

٦ ـ الرضى بفعله كيفما كان

٧ ـ التسليم لأمره في السر والحدثان

وسنتكلم عن إخوان الصفاء لتقاربهم في العقيدة مع الدروز.

إخوان الصفاء

آمنوا أن الشريعة دنستها الجهالات، ودخلتها الضلالات والترهات، ولا مجال لإعادتها الى أصالتها وطهرها إلا بالفلسفة. لذلك عملوا على موافقة الفلسفة اليونانية مع الشريعة الاسلامية.

ولهم اثنان وخمسون رسالة عدا الرسالة الجامعة، ساعين من خلال مفاهيمها الى رضوان الله والفوز بجنته. وهم فئة إسماعيلية شأنها شأن كل الفئات الشيعية التي كانت تقاوم الظلم واستبداد السلطة، معتمدة على العلوم الروحانية وربطها بالفلسفات الحديثة لصالح الانسان. وقد أسسوا جمعية سرية سموها «إخوان الصفاء وخلان الوفاء».

تعرضت رسائلهم للحرق ما عدا الرسالة الجامعة التي نسبت الى الإمام أحمد الوفي من أئمة الستر، وذلك بأمر من الخليفة العباسي المستنجد بالله سنة ١١٥٠م. لكن نسخاً بقيت بين أيدي الناس ترجمت الى الفارسية والتركية.

إذاً بيروت لم تحمل يوماً صبغة شعبية طائفية. فلا هي للإسلام وحده ولا للمسيحية وحدها. وإنما هي لجميع سكانها. أما المظاهر المرتفعة في الهواء، فكانت تحمل هوية حكامها أكثر مما تحمل هوية سكانها، وفيها شعوب متعددة اكتسبت على مر الزمن شخصية مستقلة ثبتها وشجعها التنوخيون منذ دخلوها، أي قبل أن يكونوا دروزاً، وبعد أن تقبلوا الدعوة.

= يصنف إخوان الصفاء المستجيبين الى مراتب أربع حسب أعمارهم وقدراتهم العقلية والفكرية والروحية. لا يطلع المستجيب على الأسرار المستبطنة إلا بعد سن الاربعين، ولا تكشف له الأسرار إلا بعد الخمسين.

علوم الدين عندهم نوعان: ظاهر جلي وباطن خفي. وأسرار الدين لا يصل اليها إلا الخواص والراسخون في العلم. وهم يأخذون بفلسفة فيثاغورس العددية وهي الرقم واحد، كل شيء يعود في الأصل الى العدد واحد وعلة واحدة هي الله. والأعداد الباقية المتزايدة هي من أصل الرقم واحد. كما أن الخلائق هي فيض من الله الواحد. وجود العالم من الباري ليس كوجود الكتاب من الكاتب... الكتاب مستغنٍ عن الكاتب، مستقل عنه بعد فراغه منه، بل كوجود نور الشمس الذي فاض منها، فإذا اختفت لم يبق لنورها وجود.

المماليك
١٢٩١ - ١٦١٥م

كان هم المماليك الذين تسلموا الحكم في مصر سنة ١٢٩٠م، اقتلاع الصليبيين من الساحل الشامي. وحين اقتحموا بيروت سنة ١٢٩١م كان يساندهم الاميران التنوخيان زين الدين صالح[١] وجمال الدين حجي[٢]. وسنة ١٢٩٤ تسلم أمراء الغرب التنوخيون من المماليك حكم بيروت وكان أشهرهم الأمير ناصر بن الحسين[٣] وفيه يقول أحد الشعراء:

---

(١) زين الدين صالح بن علي كان من أشجع أهل زمانه، كريماً ذا مروءة. وينسب اليه الفضل في كسر أهالي البقاع في معركة عيتات سنة ١٢٥٤م وسببها أن الناصر يوسف سلطان الشام اتهم الامير بمساندة السلطان أيبك سلطان مصر، وقد شرع الامير زين الدين صالح في بناء عمائر في عرمون، لكنه توفي قبل إتمامها. وكان أشهر أهل زمانه برمي النبال.

(٢) جمال الدين حجي الملقب بالكبير.

(٣) سكن الأمير ناصر الدين الحسين في بيروت حارة عمّرها على شاطىء البحر مع رجاله. بينما سكن غيره من التنوخيين الدار المعروفة «بدار صاحب بيروت». سكن بيروت سنة ١٣٣٣م بعد حملات الافرنج المتكررة عليها، ليقف بنفسه على حمايتها، وفي سكنى الأمير قال جمال الدين بن شهاب بن أحمد بن حجي:

آنستم الدار الجديدة مغرباً ... وأوحشتم الدار العتيق بمشرق
ما أبصرت عيناي بحراً جامعاً ... في جامع من فوق بحر أزرق

وقد زالت آثار التنوخيين في بيروت، وبقيت آثارهم شامخة في عبيه. لأن الصليبيين وغيرهم من الدول الإسلامية غير العربية لم تستطع تدميرها. ولد الامير =

أيا ابن أمير الغرب شرقاً ومغرباً ومن كل عرف غير عرفكم نكر
بإحسانك المشهود بيروت بلدة على الساحل المعمور صار لها ذكر
تبسم عجباً ثغرها وترنحت معاطفها تيهاً وجلَّلها البشر
وكان عليها الكفر والشرك دايماً فمذ حلَّها مولاي عاد لها الفخر
وعاودها أنس بقرب ركابكم ولولاكم ما افتر يوماً لها ثغر
فعطف غصون الدوح أنى حللتم تميس وثغر الروض بالنور يفتر
بكم قرَّ عيناً للغريب وإنما حسين بن خضر ظله فوقه ستر
هو الناصر المعروف بالجود والتقى له الفضل والاحسان والعطف والبر

وإبان حكم التنوخيين لبيروت تكاثر عددهم فيها. وكانوا من الذين أسهموا إسهاماً كبيراً في تطور المدينة وإنماء الحركة التجارية بعد الأمن الذي فرضوه. وقد أدى ذلك الى حرية المعتقد فانتعش المذهب الشيعي حتى أثار نقمة المماليك. فبدأ صراع بين أمراء الغرب الذين لم يقبلوا بضرب المذاهب والاكتفاء بمذهب السنة الذي حاول المماليك فرضه على الأهالي.

وفي السنة نفسها التي تسلم فيها أمراء الغرب التنوخيون بيروت سنة ١٢٩٤م، ضرب الطاعون بيروت فمات بهذا المرض بعض سكانها من الامراء التنوخيين وهم أخوة أمير الغرب فخر الدين عثمان[1]: عبد الرحمن وأحمد

= ناصر الدين الحسين سنة ١٢٦٩م وتوفي سنة ١٣٥٠م. وقد اشترك في الحملة التي قضت على الكسروانيين سنة ١٣٠٥م. قتل في المعركة أميران تنوخيان وثلاثة وعشرون رجلاً تنوخياً درزياً.

(١) هو فخر الدين عثمان بن سيف الدين بن زين الدين صالح بن الحسين أمير الغرب. ورث الامارة عن أبيه سنة ١٣٨٩م وكان بارعاً في الخط، يحفظ الشعر، وله علم في النثر. كما كان على معرفة بالحساب والجبر. حج الى بيت الله مع أبيه وعمره أربع وعشرون سنة. وكانت وفاة أبيه سنة ١٣٨٨م.

وكان فخر الدين عثمان عاقلاً محنكاً، طيب الأخلاق والنفس. شرع باتمام ديوان أبيه في بيروت، لكن الأحداث التي جرت في حكمه منعته عن إتمامه. وبعد =

وفاطمة وهولا. كما مات فيها الأمير نفسه.

وكان تواجد الدروز في بيروت وحكمهم لها، سبباً كما أسلفنا في استتباب الأمن، وحرية المواطنين الفكرية والتجارية. فاستغلوا وجودهم وعملوا في التجارة. فكانت بيروت مستودع منتوجاتهم ومخزن بضائعهم ليصار الى تصديرها من المرفأ.

وكان بعضهم يضمن المرفأ كالأمير عز الدين جواد. والبعض الآخر يسافر الى مصر في رحلات تجارية كالأمير شرف الدين عيسى. فعمّ الرخاء المدينة، وعاشت بيروت فترة بحبوحة[١].

كان مسكن التنوخيين في بيروت كنيسة[٢] حولوها منزلاً كبيراً يتسع لكثير منهم، وأصبحت هذه المدينة عزيزة عليهم، فبنى الأمير سيف الدين يحيى إيواناً وجلب الماء الى بعض حاراتها اسوة بإيوانه، عاملاً على النظافة وتقوية الزراعة وتحسين ماء الشفة.

وقد نظم الشعراء التنوخيون قصائد عديدة في سكناهم بيروت وفي أحوالها وأحوالهم فيها. وأصبح التنوخيون يمتلكون في بيروت المنازل والقصور والمخازن والمتاجر والأراضي الزراعية المحيطة بها. وكان الذين يموتون من التنوخيين البيروتيين ينقل جثمان بعضهم الى عبيه ليدفنوا فيها كالأمير علاء الدين علي وشهاب الدين أحمد وغيرهما.

= وفاته ضرب الطاعون البلاد فمات من التنوخيين عدد وفير.

(١) كان الأمير شرف الدين عيسى شاعراً، كريم النفس جليل القدر مهاباً، وهو حفيد زين الدين صالح. وقد توفي سنة ١٤٢٣م. وفي أيامه ازدهرت التجارة في بيروت، كما أن الزراعة كانت مزدهرة. فقد أقام التنوخيون المدرجات في الجبال لحفظ التربة، وفتتوا الصخور. وزرعوا الزيتون والتوت والكرمة. وجميعها مصادر للصناعة كالزيت والحرير والدبس والزبيب وغيرها.

(٢) بيعت الكنيسة لبني الحمراء الذين بنوا بحجارتها مدرسة لهم سنة ١٤٠٨م. وكانوا استقروا في بيروت سنة ١٤٠٧م قادمين من البقاع.

وقد بنى الأمير ناصر الدين الحسين منازل له في بيروت وأقام جامعاً. وجعل حول الحارة التي سكنها سوراً مرتفعاً[1].

وبالرغم من حكم الدروز بيروت من قبل المماليك، فإنه كانت تمر على العلاقات بينهم بعض الهزات أحياناً. لا سيما في تساهل التنوخيين في أمور المذاهب والمعتقدات. وكان من نتيجة ذلك أن ترك المدينة بعض التنوخيين الذين كاشفوا والي دمشق بإصرارهم على حرية المعتقد. كما تركها قسم من الشيعة الذين كانوا يتسترون بمذهب السنة.

والتنوخيون لم يكونوا فقط حماة بيروت والساحل، بل كانوا يشاركون في الحروب خارجها ضد الافرنج. فقد كان صالح بن يحيى صاحب كتاب «تاريخ بيروت» قائداً في فتح قبرص سنة ١٤٢٥م. كما ساهم في غزوة قبلها.

وقد أغار الجنويون الافرنج على بيروت سنة ١٤٠٣م على حين غرة، فقاومهم التنوخيون فيها مقاومة عنيفة بعد أن أحرقت دار المؤرخ صالح بن

---

(١) تنازل الامير ناصر الدين الحسين عام ١٣١٠م - وكان شاعراً مجيداً - عن إقطاعه للأمير علم الدين سليمان الرمطوني جد عائلة أبي مصلح في عين كسور وعاليه. وقد دام حكمه خمسين سنة. تنازل سنة ١٣٤٨م عن إمارته لولده الامير زين الدين صالح المتوفي سنة ١٣٧٨.

ولد الامير علم الدين سليمان الرمطوني الملقب بالكبير سنة ١٢٧٥م وتوفي سنة ١٣٤٦م. ولداه سيف الدين غلاب وكان مشهوراً بالخط والفنون، وعز الدين جواد الذي كان شهيراً بصناعات كثيرة عدا الخط. وقد ورث الاقطاع عن أبيه الامير علم الدين سليمان الرمطوني بعد أن تنازل له أخوه سيف الدين غلاب عن الأمرية. وقد ضمن كما مرّ معنا مرفأ بيروت. ولد الامير عز الدين جواد سنة ١٣١٧م وتوفي سنة ١٣٥٧م. وكان للأمير علم الدين سليمان الرمطوني اربعة بنين وبنت اسمها ريمة وهي زوجة زين الدين صالح بن الامير ناصر الدين الحسين. أنجب الامير علم الدين سليمان الرمطوني عدا سيف الدين غلاب وعز الدين جواد الأميرين بهاء الدين داود وركن الدين محمد.

يحيى والسوق القريبة من المرفأ. ولاحق التنوخيون الغزاة حتى طردوهم الى سفنهم فأبحروا في خوف شديد. وبعد ذلك اجتاح بنو عساف الغرب وبيروت بينما كان التنوخيون يساندون الظاهر برقوق في معركة شقحب قرب دمشق. فنهبوا بيوت التنوخيين في بيروت[1].

وصالح بن يحيى من ساكني بيروت. أبلى والده بلاء حسناً حين هاجمت مراكب جنوى بيروت سنة ١٣٨٢م، منزلة جنداً على ساحلها، محاولة نصب سنجق على القلعة. فانقض عليهم سيف الدين يحيى والد صالح برجاله وشردهم، فهربوا وغرق كثير منهم في البحر بعد أن طاردهم.

والآن ما يجب أن يعرف أنه كان في بيروت جماعة على اختلاف المذاهب، اعتنق أكثرها الدعوة التوحيدية التي أغلقت سنة ١٠٤٢م، وعلى رأسهم التنوخيون الذين سكن بعضهم المدينة. فأكثر العائلات البيروتية الدرزية لم تكن دخيلة على بيروت، وإنما هي أصيلة فيها، فقبلت الدعوة التوحيدية كما تقبلتها سائر المناطق. لذلك سهل على التنوخيين حكم بيروت، فأقرتهم مختلف الدول المتعاقبة على حكم هذه المنطقة الشامية.

---

(١) ولا بد هنا من ذكر الامير عز الدين صدقة، قبل أن نختم الكتابة عن التنوخيين. توفي الامير عز الدين صدقة سنة ١٤٤٤م. وكان متولي بيروت. خاصمه آل الحمراء أصحاب مقاطعة البقاع فهاجموا قصره في بيروت على حين غرة. وكان حكم الامير عز الدين صدقة ممتداً من طرابلس حتى صور ساحلاً وجبلاً.

كان هذا الامير رجلاً عادلاً محباً لشعبه، ساعياً الى تحريره من العوز والظلم. وقد عفا عن الرجل الذي حاول اغتياله في عبيه بعد أن فشل في قتله في بيروت أثناء مهاجمة بني الحمراء لقصره في بيروت. لكن هذا الرجل قتل بعد ذلك على يد ابن الحنش، فأرسل نائب دمشق برأسه الى الامير العظيم. وبنى ابن الامير، بدر الدين جسر الدامور سنة ١٤٥٨م.

والتسامح الديني، والانتعاش الاقتصادي والحرية التجارية، التي حققها جميعاً التنوخيون في بيروت وهم أمراء الغرب، فتحت كلها باب الهجرة لبعض الجماعات اليها قادمة من بلدان أخرى. لذلك نرى العائلات الوافدة قد سميت بأسماء البلدان التي جاءت منها: كالمصري، والمغربي، والحلبي، والاسكندراني وغيرها، وأكثرها قدم بيروت إبان العهد التنوخي أو العهد المعني.

أما العائلات الدرزية البيروتية فلا نرى أسماء تدل على أنها هاجرت الى بيروت من بلدان أخرى إلا ما ندر كآل الحلبي الدروز مثلاً.

وسنرى أن أكثر العائلات الدرزية كانت في بيروت قبل الدعوة التوحيدية وكان أكثرها من التنوخيين.

هذه مسألة أغفلها المؤرخون إما لغاية او لجهل. لأن الدعوة لم تقتصر كما يظن البعض على وادي التيم ونواحي حلب، بل انتشر دعاتها في كل مكان أيام الحاكم وبعده، ومنها بيروت.

والحاكم بأمر الله أعلن الدعوة جهاراً بمفاهيم تقدمية إسلامية متطورة، راعت التطور الفكري والاجتماعي والعلمي، الناتج عن تمازج الافكار العالمية في ذاك الوقت. وكانت الدعوة مجموعة للأفكار الفلسفية والروحية عبر الزمن. فقد بدأ الإنسان يفكر في الكون وفي الخالق وفي قوى الطبيعة، ثم في مآله ووجوده وعلاقته بكل ما يحيط به من منظور وغير منظور، عن طريق الحكماء الذين أوضحوا هذه الأفكار وتعمقوا فيها وبحثوا فيها بحثاً عقلانياً روحياً، لأنهم أدركوا أن البحث المادي مقصر عن تأمين المعرفة او الاقتراب من الحقيقة أو كشف غوامض مذهلة... كل ذلك سعياً الى سعادة الإنسان.

وقد أولت الدرزية التوحيدية احتراماً كاملا للإنسان ككائن مميز،، ارتفع عن المخلوقات الاخرى، فانبثق نوراً من نور الاله الجوهر. فالإنسان بالنسبة

للدرزية هو من منبع المطلق أو الواحد. فإذا خرجت نفسه من نقطة الدائرة، فلا بد أن تعود الى النقطة ذاتها بعد أن تبلغ التطهر الكامل، والعرفان الكلي لتستحق الاتحاد بالله[1].

(١) بلغت الدعوة التوحيدية أقاصي العالم المعروف آنذاك. فانتشر الدعاة في بلاد العرب وفارس والهند والصين والمغرب وبلاد الروم. وفي جميع هذه البلدان موحدون لا يحملون اسم الدروز. لكنهم من معتنقي الدعوة التوحيدية الحاكمية يطلق عليهم مثلاً «الحمزاوية» أو «الحاكمية» او غير ذلك. لكنهم إخوان روحيون موحدون.

تذكير تاريخي

من المعروف أن عبيدة بن الجراح، فتح بيروت بإرساله يزيد بن أبي سفيان لفتحها، وذلك في أوائل القرن السابع الميلادي. لكن البيزنطيين سنة ٦٤٣م استعادوا بيروت ومكثوا فيها سنتين. ثم سقطت بعد ذلك على يد والي الشام معاوية بن أبي سفيان الذي رأى أن يقويها بمرابطين. فاستقدم من أجل ذلك جماعة سكنتها.

وكان من المرابطين سلمان الفارسي[١] الشخصية التي يقدرها الدروز أكبر تقدير. ويبدو أن اتباع سلمان الفارسي كانوا أول من اعتنق الدعوة التوحيدية الدرزية في بيروت. ومن الذين استقدمهم معاوية الى بيروت الارسلانيون والتنوخيون واللخميون من الحيرة وجعلهم حكاماً. كما استقدم جماعة الحمراء. ويعتقد أن «الحمراء» ليسوا فرساً وإنما هم التنوخيون اللخميون من الحيرة الذين عرفوا بفرس العرب[٢].

(١) سلمان الفارسي صحابي مؤمن، شديد الذكاء والاخلاص. كان مجوسياً من اصبهان. ثم اعتنق الاسلام بعد أن اعتنق المسيحية فكان أقرب الصحابة الى النبي محمد(ص). عاش عمراً مديداً. وهو الذي أشار على المسلمين بحفر الخندق فكان في ذلك خلاصهم. توفي سنة ٦٥٦م. وقد جاء سلمان الفارسي الى بيروت مرابطاً مع أبي ذر الغفاري. فكان مدرساً ومحدثاً. اكتسب محبة الناس وتقديرهم، وهو عند الدروز شخصية شبه مقدسة، يحلفون باسمه ويلقبونه «بسيدي سلمان».

(٢) بعض المصادر لا يذكر عن معاوية بن أبي سفيان أنه استقدم تنوخيين. وإنما اقتصر استقدامه للفرس. ولكن يبدو أن معاوية جاء بالعرب ايضاً ليقوي شوكته في بيروت =

كما استقدم أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي[١] ٧١٤ - ٧٧٥م قبائل عربية نزلت بيروت وكان على رأسهم الأمير أرسلان الذي سكن سن الفيل[٢] بينما عمرت جماعته جبال بيروت التي كانت خالية وذلك سنة ٧٥٨م.

وفي سنة ٨٧١م تولى الأمير النعمان بن عامر الارسلاني مدينة بيروت. حارب المردة سنة ٨٧٦م، وقاتل الافرنج في رأس بيروت سنة ٩١٧م. ولما حكم الفاطميون المنطقة أقرّ جعفر[٣] بعد فتحه دمشق الأمير سيف الدولة المنذر التنوخي على حكم بيروت.

ولما توفي الأمير سيف الدولة المنذر التنوخي سنة ٩٧٠م خلفه ابنه تميم.

يتضح من ذلك أن الذين اعتنقوا الدعوة التوحيدية «الدرزية» في بيروت من التنوخيين حكاماً أم شعباً، كانوا من سكان بيروت. فهم بيروتيو الولادة والسكن.

= ويحميها من غزوات الروم، ويكون المعتقد والنزعة القومية عاملين أساسيين لروح القتال، ويشاركني القول الدكتور عصام شبارو في كتابه «تاريخ بيروت» إذ يقول: «ولهذا السبب استقدم الامراء الارسلانيين والتنوخيين الذين حكموا بيروت والساحل».

(١) أبو جعفر المنصور هو عبدالله بن علي بن العباس، ثاني خلفاء العباسيين وباني مدينة بغداد وجعلها عاصمته بعد أن كانت الهاشمية عاصمة الخليفة العباسي الأول السفاح.

(٢) الأمير ارسلان ولد سنة ٧٢٧م وهو ارسلان بن مالك بن بركات بن المنذر بن مسعود، يرقى نسبه الى المنذر بن ماء السماء اللخمي، أبو الأسرة الارسلانية الدرزية اللبنانية. كان قبل ذلك مقيماً في معرة النعمان من أعمال حلب.

(٣) هو جعفر الكتامي الذي افتتح الشام بأمر من جوهر فاتح مصر وباني القاهرة. توفي جعفر الكتامي سنة ٩٧١.

إبان الحكم المعني

سنة ١٥١٦م سقط حكم المماليك وسيطر العثمانيون على المنطقة. فاستغل الصليبيون الفترة الانتقالية وغزا اسطولهم بعد معركة مرج دابق ساحل بيروت سنة ١٥٢٠ وحاصروها ثلاثة أيام. لكن سرعان ما عاد العثمانيون وهاجموا بيروت طاردين منها الإفرنج بمساندة التنوخيين داخلها وخارجها. ويبدو أن العثمانيين لم يكونوا مرتاحين للتنوخيين فتعاهدوا مع المعنيين متخلين عن التنوخيين.

وأيام الأمير فخر الدين ضمت بيروت الى حكمه سنة ١٥٩٤ حين تغلب على ابن سيفا في موقعة نهر الكلب. وأثناء غياب الامير فخر الدين المعني في ايطاليا هرباً من الضغط العثماني عليه، عيَّن الامير منذر التنوخي حاكماً على بيروت سنة ١٦١٦ فبنى الجامع المعروف باسمه. وكان يسمى ايضاً جامع النوفرة الذي ما يزال قائماً. وقد سكن الامير منذر بيروت[١].

---

(١) من المرجح أن يكون بناء المسجد قد تم سنة ١٦٢٠م أي بعد تولية الأمير منذر بأربع سنوات. توفي الامير منذر سنة ١٦٣٣م. وقد أقام كذلك عمارة في عبيه سنة ١٦٢٣ وجاء في لوحة حجرية عليها «باسم الله الرحمن الرحيم، شاد هذا العمار المبارك إن شاء الله تعالى فخر الامراء المكرمين الجناب العالي الأمير منذر بن المرحوم علم الدين سليمان بن الأمير محمد بتاريخ شهر ذي الحجة من شهور سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم». ١٦٢٣م ونقش هذا الشعر:

قسماً بما ضمت أباطح مكة ... ومنى وآيات الكتاب المنزل

=

وبعد أربع سنوات حلّ الطاعون في بيروت وأباد أناساً كثيرين. وفي هذا الجامع دفن الامير ملحم الشهابي سنة ١٧٦١م.

أما فخر الدين الثاني الكبير، فكان يدافع عن بيروت دفاعاً جباراً، براً وبحراً. فاهتم بالأسطول البحري مؤمناً عدداً من السفن الحربية. وفي سنة ١٦٢٢م هاجم بحراً قراصنة مالطة الذين حاولوا الاقتراب من ساحل بيروت، ثم لحق بهم في البحر وأسرهم في عرضه.

أما الأمير منذر المار ذكره، فكان حاكماً عادلاً أحسن معاملة الأهالي وعمل لمصلحة الشعب بتوجيهات الامير فخر الدين. وقد بلغ به التسامح مبلغاً، ظهرت واضحة فيه حنكته الوطنية وغيرته وأمانته وصدقه. فتآخت المذاهب الاسلامية والمسيحية ولم يعد الناس يفرقون بين من يدخل الكنيسة او الجامع[1].

ولم يحاول هذا الحاكم أن يجعل لجماعته سيطرة فكرية او سياسية او مذهبية. فكان الدرزي في بيروت مساوياً في جميع الأمور مساوياً لأي مسيحي أو سني أو شيعي، بالرغم مما لاقاه من تعسف المماليك المذهبي وتعصب العثمانيين.

وقد أحب المعنيون بيروت حباً كبيراً بعد أن عمّ الرخاء والأمن في المدينة، وبلغت التجارة أوجها، وانتشر العمران انتشاراً حضارياً هندسياً محكم التطبيق.

وقد أقام الامير فخر الدين المعني الدرزي الولادة والمعتقد، قصراً له في

= ما شدتها طمع الخلود وإنما هـي زينـة الـدنيـا لأهـل المنـزل

(١) هذه شيمة الدروز تاريخياً في كل بقعة حكموها او كانوا يسيطرون عليها. لم يحاولوا مرة فرض معتقدهم على أحد.

بيروت قرب برجه المعروف «ببرج الكشاف» وسميتْ المنطقة «ساحة البرج» نسبة الى برجه، كما أنشأ حديقة للحيوان جلب إليها أعداداً منوعة من الضواري والخيل والزحافات، وغيرها.

كما أقام الحدائق العامة الغناء ومدّها بالماء. وكان يزعج بيروت رياح تحمل الرمال، فتجعل الجو مكفهراً يؤثر على راحة التنفس والصحة العامة، فزرع الصنوبر حولها ليحميها من الرمال.

أما البحبوحة التي عرفتها بيروت، فكانت نتيجة الحركة التجارية البحرية. وقد نشطها هذا الأمير بعد أن أقام علاقات تجارية مع أوروبا وأخصها ايطاليا وفرنسا. كما شجع الارساليات الاجنبية الثقافية إسهاماً في العلم لخلق جيل مثقف يستطيع تحمل الأعباء الوطنية.

كانت بيروت تضاهي المدن الاوروبية حضارة وانتعاشاً. فحسّن مرفأها ووسع أحواضه كي تستقبل الاعداد الوفيرة من السفن، وأعطى حرية التحرك التجاري بين بيروت والضواحي والجبال وأهمها صيدا. وبين بيروت والمرافىء الاوروبية، مع رقابة واعية ساهرة عادلة. وكان أهم التجارات: الحرير ـ الرماد ـ الزيت والصابون، والمصنوعات الحرفية. وكان لربط مرفأ بيروت بمرفأ صيدا ازدهار لبيروت[(١)].

---

(١) بدأت قيمة مرفأ بيروت بالتقهقر بعد معركة مرج دابق سنة ١٥١٦م. وقد أدّى هذا التقهقر الى انتعاش مرفأ طرابلس الذي كان يستقبل السفن الاوروبية التجارية ولم يستعد مرفأ بيروت نشاطه وأهميته إلا أيام الامير فخر الدين المعني الثاني، لأن بيروت كانت بالنسبة اليه المدينة المفضلة أسوة بمدينة صيدا. وقد اعتبرها مستودع ثرواته ومكان راحته.

لذلك اهتم بمرفأ بيروت فحسّنه وجعله ملتقى السفن الاوروبية والمصرية وغيرها، وجهزه تجهيزاً رائعاً بالموظفين الذين يستقبلون البضائع الخارجية وينسقون البضائع المصدرة بشكل دقيق يحفظ حقوق التجار وييسر عملية الجمركة. وقد بنى في بيروت قصراً جميلاً أعجب السياح الاجانب، فوصفوه بالدقة والجمال والأبهة. =

في هذه الحقبة تكاثر عدد الدروز في بيروت بشكل ملحوظ، بعد أن شعروا أنهم ما زالوا حكام هذه المدينة، وأن واجبهم المحافظة على أمنها واستقرارها وازدهارها. وكان التسامح الديني كما أسلفنا العنصر الأهم لبروز الدروز وتواجدهم المتزايد، فبنوا المنازل علاوة على ما ورثوه من التنوخيين، وتعاطوا التجارة، وأقاموا العلاقات الطيبة بين المدينة والجبل.

= وأقام حوله جنائن رائعة جعل لها أشكالاً هندسية فاتنة، على أيدي مهندسين ايطاليين معروف عنهم المهارة والعلم، سلمها لرجال يجيدون الزراعة ومعاملة النبات. كما أنشأ الجسور بما فيها نهر الكلب. وأجرى المياه في المدينة بأقنية تستغل للزراعة، مستفيداً من دراسة الأقنية الرومانية، حتى بدت بيروت جنة وارفة تغمرها الخضرة.

ورفع في طرف القصر برجه الشهير الذي بلغ ارتفاعه ستين متراً. وقد حاول هذا الامير العظيم أن يجعل بيروت نموذجاً حضارياً يضاهي مدن ايطاليا وفرنسا. لذلك استقدم العلماء والمهندسين والخبراء والتجار، وأغراهم بالمال ليقوموا بأعمال ترفع من مكانة البلاد واقتصادها وعمل أهلها.

وقد بقيت آثار قصر الأمير فخر الدين حتى مطلع القرن التاسع عشر حين أقامت الدولة العثمانية مكانه سراي البرج، بعد أن اطاحت بالبرج إطاحة كاملة. كما حافظ هذا الامير الواعي على آثار بيروت القديمة، فرعى سورها محافظاً على أبوابه التي كانت تغلق كل مساء، ولم يفعل ما فعله العثمانيون، إذ هدموا الآثار القديمة ليقيموا مكانها عمائرهم الخاصة.

وهذا دليل على أن الامير فخر الدين كان يعتبر بيروت مدينته التي تحمل تاريخ أجداده وانسبائه وأبناء عشيرته ومعتقده، وهي صورة لأرض هي أرضه ولشعب هو شعبه.

ولاهتمامه بالثقافة وصلت في عهده أول مطبعة في الشرق وهي مطبعة دير قزحيا سنة ١٦١٠م وانفتاحه على ثقافة الغرب سهل للموارنة الاتصال بالفاتيكان وتأمين الدراسة لأبناء طائفتهم. ويعتبر الامير فخر الدين الثاني هذا، الذي دام حكمه من سنة ١٥٩٠ ـ ١٦٣٥م صاحب أول حركة تحررية في الشرق العربي، وأول من أقام اتصالات بالنهضة الاوروبية.

بنى فخر الدين سنة ١٦٢١م جسري الدامور والزهراني لتسهيل الاتصال التجاري والسكاني بصيدا. ولد في بغقلين سنة ١٥٧٢م.

إبان الحكم الشهابي

لا بد قبل ذلك من ذكر الأحداث التالية:

١٥٩٨م: جرت معركة في نهر الكلب بين الامير فخر الدين المعني وابن سيفا بسبب بلاد كسروان، فانتصر الامير وتولى بلاد كسروان وبيروت.

١٦٠٥م: جرت معركة جونية بين الامير فخر الدين المعني ويوسف سيفا فانتصر الامير.

١٦٦٠م: أيام الامير أحمد المعني: أعطى والي الشام حكم الشوف الى الشيخ سرحال العماد من الباروك. وحكم الجرد والغرب الى أولاد الامير علي علم الدين الذي مات بالطاعون. أما الأمير احمد وأخوه قرقماز فقد فرّا الى بلاد كسروان.

١٦٦١م: أعطي حكم البلاد الى الامير محمد بن علي علم الدين.

١٦٦٤م: انكسر اليمنيون في معركة بيروت. وقتل عبدالله بن الصواف اليمني، وعاد الامير أحمد المعني الى حكم البلاد.

وفي سنة ١٦٩٧م زال حكم المعنيين منتقلاً الى الشهابيين. وبذلك زالت الإمارة الدرزية وحلت محلها إمارة الشهابيين السنّة.

لكن الامير الشهابي بقي يحمل اسم أمير الدروز. وهذا ما جعل البعض يعتقد أن الشهابيين دروز(١).

---

(١) بعضهم عزا درزية الشهابيين الى زواجهم من المعنيين الدروز، لأن الدروز كما هو معروف لا يتزاوجون إلا من بعضهم البعض. لكن الحقيقة أن الأمراء الدروز كانوا =

أما كيف انتقل الحكم من الدروز الى المسلمين السنة، فإنها مؤامرة عثمانية شقت الدروز قيسيين ويمنيين، وقوّت بأساليبها الشيطانية هذا الإرث العربي الذي حمله العرب معهم من الجزيرة العربية.

كان القيسيون يؤيدون آل شهاب. بينما وقف اليمنيون ضدهم مؤيدين آل علم الدين اليمنيين أبناء عم التنوخيين. وكان العثمانيون وقد أرهبهم الامير فخر الدين الثاني الكبير، بروحه الاستقلالي، وعنفوانه الوطني، وسعيه الى سيادة شعبه على اختلاف مذاهبه، وتسامحه الديني، وانفتاحه على الحضارة، يسعون جهدهم للتخلص من الامراء المعنيين، ومن اليمنيين الذين حاولوا ألا يفقد الدروز السلطة، واستبدالهم بأمراء يكونون تحت امرتهم بدافع التعصب الديني المذهبي.

لكن الأمراء الشهابيين لم يطل بهم الوقت حتى بدأ الواحد منهم يتنصر بعد الآخر، استرضاء للسياسة الفرنسية في محاولة للبقاء في الحكم(١).

كان في استلام الشهابيين إمارة البلاد، وبالاً على البلاد برمتها، وعلى الشعب إذ برزت المؤامرات الأجنبية بوضوحها، عن طريق إثارة نعرات طائفية

= يعتبرون كغيرهم من الطوائف آنذاك، أن الطبقية هي أساس مركزهم الاجتماعي. لذلك كانوا يتزوجون من أميرات ولو لم تكن درزيات حفاظاً على المركز الطبقي الذي كان يقوم على النسب.

هذا الزواج كان معمولاً به فقط عند الأمراء من الدروز، أما الدروز بصورة عامة حتى ولو كانوا من طبقة المشايخ فكان الزواج عندهم مقتصراً بينهم ومستنكراً زواجهم من خارج الطائفة. بعد الأمراء المعنيين لم يبق من الامراء إلا آل أرسلان. أما الامراء التنوخيون الباقون فقد أصبحوا من المشايخ.

(١) سنة ١٧٥٤ تنصر أكثر أمراء أبي اللمع الدروز، وتبعهم الشهابيون السنة. وأول من تنصّر من الشهابيين أبناء الامير يوسف سنة ١٧٥٤. وهنا تجدر الاشارة أن الذي سهل للأمير ملحم بن يوسف احتلال بيروت هو الشيخ شاهين تلحوق، وفي عهده نشأت اليزبكة والجنبلاطية.

صليبية ضد الطوائف الاخرى ـ وهذا أمر لم يحدث أيام حكم التنوخيين والمعنيين ـ بعد أن كان سبقها تعصب إسلامي مقيت أججّه ايضاً الشهابيون أنفسهم. فقد كانوا في إسلامهم ونصرانيتهم عنوان الشقاق والفساد.

ومنذ بداية العهد الشهابي توترت الأجواء. وذرّت الانقسامات قرونها. وعمل الاستعمار بواسطة الشهابيين وبشكل فاضح، على إشعال الروح الطائفي بين المواطنين. فكانت الكارثة التي لم نزل نتخبط بها حتى اليوم.

فاجتماع السمقانية سنة ١٦٩٧ لانتخاب خلف للأمير أحمد المعني، كان مؤامرة من تخطيط الدولة العثمانية. ومعركة عين دارة كانت نهاية خيط المؤامرة، إذ فرّ نصف الدروز تقريباً ـ وهم اليمنيون ـ من جور الشهابيين القيسيين وأعوانهم. وبقي القسم الآخر ـ القيسيون ـ يلعق بقايا السيادة المنهارة من مناصب المقاطعات التي كانت تخضع للامير الشهابي[١].

---

(١) ما تجب الإشارة اليه، أن بيروت لم يتفش فيها الانحلال الخلقي زمن التنوخيين والمعنيين، فلم يذكر لنا التاريخ حوادث مخلة بالأخلاق بالرغم من تقلب الدول على حكم هذه المدينة من مماليك وسلاجقة وإفرنج وغيرهم. وذلك لوجود حكامها الفعليين داخلها، المعروف عنهم تمسكهم بالخلق والشهامة والعفة وهم أبناء معتقد كان أهم مبادئه صون الأخلاق عن الانزلاق، أعني بهم التنوخيين ثم المعنيين.

بدأ الانحلال الخلقي في بيروت أيام العثمانيين وهي تحت الحكم الشهابي، ثم أيام الانتداب الفرنسي الذي فتح الأبواب للدعارة الظاهرة والخفية. وقد استمرت هذه الحال الوسخة حتى عهد حكومة الاستقلال التي استقبلت ملوك النفط العرب الذين سفكوا أموالهم على موائد الدعارة في بيروت، مسقطين في اتونها نساء هذه المدينة الطاهرة، ما عدا عائلات بيروتية أصيلة لم يغرها الذهب، ولم تبعدها عن شهامتها حفلات مزيفة ودعوات مشبوهة.

في هذه الفترة برز الفحش في الفنادق ومواخير الليل، وبيوت الدعارة التي اشتهرت وانتشرت رائحتها، فأمّها رجال من علية القوم من ساسة وموظفين ورجال أعمال، ليستمتعوا بنساء بارعات الجمال بينهن نساء هذه الطبقة المذكورة. وقد أصدرت في ذاك الوقت قصة بعنوان «سيليستا اللبنانية» تصور ذاك الواقع.

في هذا العهد الشهابي المتآمر، كان الدروز في صراع للمحافظة على ما تبقى لهم من علو الشأن في هذا الجو الطائفي المشحون بالأحقاد المتبادلة. وكانوا ما يزالون يملكون أكثر الاراضي في ضاحية المدينة مع بيوت ومخازن وعمارات داخلها. لا سيما في مناطق جل البحر وساقية الجنزير وكركول الدروز وعين المريسة.

وكان تواجدهم الكثيف في جل البحر نتيجة لحراستهم الساحل منذ العهد العربي. فغالبيتهم الساحقة تنوخية، تملكت وبقيت محافظة على أملاكها حتى العهد الشهابي. وسنأتي على ذكر العائلات الدرزية البيروتية.

كانت نسبة الدروز الى غيرهم من الطوائف الاسلامية والمسيحية ليست بقليلة كما هي اليوم. لكن احتلال إبراهيم باشا المصري بيروت[1] ومقاومة الدروز الشرسة له، جعلا بعض هؤلاء يرحل. منهم من خرج لمقاتلة ابراهيم باشا، ومنهم من فرّ من مظالمه وغدره. وما بقي من الدروز تظاهر بالسنة، وتأقلم مع الوقت مع أهالي بيروت بكل مظاهر الحياة، وإن حفظوا عقيدتهم في قلوبهم.

كل ذلك خشية من ابراهيم باشا المصري، المستعمر الغادر الذي تبنى سياسة العثمانيين بإثارة النزعات الطائفية لفك الألفة بين الأهالي في بيروت التي كان عدد سكانها لا يتجاوز بضعة آلاف.

أكمل ابراهيم باشا المؤامرة وعلى رأسها فرنسا للقضاء على ما تبقى من امتيازات للدروز، فكان متمماً للتخريب الشهابي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي طال جميع الفئات اللبنانية على اختلاف مللها وطبقاتها.

ولا يمكن أن ننسى محاولة الشهابيين سرقة أموال الأمراء الدروز، عن طريق تزوير الميراث. كما فعل الامير حيدر الشهابي بورثة الشيخ علي

---

(١) دام حكم ابراهيم باشا لبيروت من سنة ١٨٣١م حتى سنة ١٨٤٠ .

جنبلاط. وكما فعل ايضاً حين طالب بعد سنين طويلة من وفاة الامير فخر الدين بحقه من ميراثه. وكما فعلت أخت الأمير حيدر الشهابي، حين ادعت بإرث زوجها عبدالله اللمعي فاغتصبت دون حق بستان «أبو كعكة» شرقي بيروت، وجزيرة «ابن معن» على نهر بيروت.

وأكمل الأمير بشير الشهابي الثاني هذا النهج المتسلط، حين طالب بحقه في ميراث الامير اسماعيل أرسلان.

إذاً، الروح الوطني الأخوي الذي عمل به التنوخيون والمعنيون، زال في العهد الشهابي العثماني على يد الشهابيين. وبدأت المفاهيم البيروتية في المحبة والتآلف والاخاء تتبدل تحت ضغط دنيء فرضه العثمانيون باسم الإسلام والتعصب الديني. وهذا ما جعل الدروز في بيروت يتسترون هرباً من الانتقام الشهابي الاسلامي في مطلع حكم الشهابيين والانتقام الشهابي المسيحي في نهاية حكمهم[١].

أما ابراهيم باشا فقد تآمر على الفئات الاسلامية كلها خدمة لمآرب

---

(١) دبَّر الامير بشير الشهابي مؤامرة لاغتيال الست حبوس الارسلانية التي ولدت في الشويفات سنة ١٧٦٩م وهي ابنة الأمير بشير أرسلان وزوجة الأمير عباس فخر الدين ارسلان. وقد تولت مقاطعة الغرب بعد وفاة زوجها سنة ١٧٩٤.

ماتت اغتيالاً ودفنت في بشامون. أولادها منصور وأحمد وحيدر وأمين، أما قصر بشامون المتهدم اليوم فقد بناه الامير علي أرسلان سنة ١٦١٢م بعد أن هرب من الشام. وكان قد قدمه الامير فخر الدين المعني رهينة مع شرف الدين بن مزهر لحافظ أحمد باشا حين عزم على مهاجمة الشوف بعد أن هاجم الامير أحمد شهاب في حاصبيا وأحرق دور آل شهاب.

وقد تعهد الامير فخر الدين بدفع مائة ألف قرش، وقدم من أجل ذلك رهينتيه، الأمير علي ارسلان وشرف الدين بن مزهر. على أرسلان تزوج من ابنة الامير محمد بن الامير علي شهاب حاكم وادي التيم. ثم أن الامير فخر الدين أصلح ما بين علي شهاب وأخيه أحمد، وقسم وادي التيم قسمين: أحدهما لعلي والثاني لأحمد.

فرنسا، عاملاً على سيطرة المسيحيين الموالين لفرنسا على بيروت بضمانات عديدة قدمها إليهم بدعم معنوي ومادي.

بيروت المحبة والوطنية والتسامح والانفتاح الحضاري، كبلها العثمانيون وابراهيم باشا بكل أنواع الدسائس والطائفية والفرقة. فلا المسلمون ارتاحوا ولا المسيحيون ارتاحوا. ولا الشعب عرف الاستقرار فكانت القلاقل والحوادث المؤسفة التي أخذت تظهر في هذا العهد.. عهد الرياء والانقسام واللعب بعواطف السذج من الناس، عكس التنوخيين الذين كانوا في الحقيقة السدّ المنيع الذي جمع الوحدة الوطنية في بيروت. أفشلوا مؤامرات الصليبيين في التفرقة الدينية والمذهبية. كما أفشلوا دسائس المماليك ضد المذاهب غير السنية. وعلى هذا المنوال الشريف حاك المعنيون. لكن العثمانيين بلغوا من الدهاء مبلغاً كبيراً، إذ جعلوا المؤامرة تسير على يد أمراء البلاد الجدد آل شهاب العرب المسلمين في البداية والمسيحيين في النهاية.



ما بعد العثمانيين

بعد الحرب العالمية الاولى، كان قد تضاءل عدد الدروز في بيروت، وكانت الاكثرية مسلمة سنية على مستوى من الروح الوطني، عوّضت شيئاً عن مساوىء العثمانيين، وإن كان بعض زعمائها قد مالأ فرنسا صاحبة الانتداب. لكن الدروز وقد قاوموا الفرنسيين في دخولهم وانتدابهم لسورية ولبنان، قد هاجر قسم من بيروت. وبقيت بعض الفئات الدرزية صاحبة الجذور التاريخية التي تملكت الكثير من أراضي بيروت وبناياتها ومتاجرها، ثابتة في أماكنها محافظة على ممتلكاتها.

وهؤلاء الدروز كما أسلفنا تستروا للحفاظ على أمنهم وممتلكاتهم أيام العثمانيين والفرنسيين، فأخذوا يظهرون غير ما يبطنون، مع انكماش حاولوا أن يعيشوا فيه في مناطقهم المعروفة في بيروت[١]. وكان يزعج إخوانهم في الجبل[٢].

هذا البعد عن إرثهم التقليدي في السلوك والتصرف، ولا سيما نطق القاف. الدرزي تطق القاف في فمه طقاً. وهذا النطق كان يتباهى به الدروز ويعتبرونه مظهراً من عروبتهم وتعلقهم باللغة السليمة.

---

(١) كجل البحر وساقية الجنزير وكركول الدروز وعين المريسة ووطى المصيطبة.

(٢) كالشوف والغرب والمتن ووادي التيم. وهذه المناطق كان سكانها من أكبر المحافظين على سلامة اللغة العربية بين الاقطار العربية. وكانوا يعتبرون أن نطق القاف صحيحة ميزة من مزاياهم، وهم بها يفاخرون. وقد عرف منهم كتّاب وشعراء بارزون حافظوا على أصالة اللغة وسلامتها.

واللهجة العربية الصحيحة التي يتكلم بها الدروز اليوم في مناطقهم، هي إرث اللغة العربية الأصيلة التي حملها التنوخيون معهم من الجزيرة العربية ملطفة بالحضارة الفارسية.

وعلى مر الأيام أحس دروز بيروت ببعدهم عن اخوانهم، وإن كانت الاكثرية حافظت على عقيدتها في باطنها، فكان لها مجالس تصلي فيها عدا المجالس البيتية التي تمارس فيها شعائرها الدينية[١]. وكان أول حادث جمعهم عصبة واحدة في ذاك الوقت بيروتيين وجبليين، مسألة تربة الدروز سنة ١٩٣١م أيام الانتداب الفرنسي. وكان قد تضاءل كثيراً تزاوج دروز بيروت من أبناء عشيرتهم في الجبل، فكانت هذه الحادثة عودة التقارب والتزاوج بينهم، وتجدد العلاقات المتبادلة التي مرّ عليها وقت طويل من الفتور والجفاء.

شعر دروز بيروت بسند قوي جاءهم من اخوانهم في كل مكان، في سورية وفلسطين علاوة على لبنان.

فأبدوا بطولة خارقة في مظاهرة قاموا بها بقيادة عارف بك النكدي، مطالبين فيها بإعادة أرض تربة (مدفن) الدروز الى أصحابها الدروز بعد محاولة ظالمة لسلخها عنهم. ويحكى أن امرأة قد تكون من آل الحلبي، وهي درزية بيروتية، كانت تمشي أمام المتظاهرين، مهددة بعصا غليظة، داعية الرجال الى الموت في سبيل استرجاع الحق[٢].

---

(١) كمجلس البلاد ومجلس عبد الخالق ومجلس القنطاري ومجلس الوطى.

(٢) **نساء درزيات شهيرات**

المرأة الدرزية شهيرة بأخلاقها وحشمتها واحترامها لعفتها ومعرفة حدود تصرفها. فهي قبل زواجها محافظة على سمعتها، متمسكة بتقاليدها، لينة في حديثها، خفرة في مقابلاتها دونما تقوقع وانزواء. تقابل الفتيان من أقاربها وأصدقاء أهلها في منزلها كأم أو كأخت.

=

وهي بعد زواجها امرأة مستقيمة، منفتحة، كريمة مضيافة تدرك أن أولى وظائفها المحافظة على كرامتها وكرامة زوجها. إنها على عكس ما يصورها بعض الناس، فهي سيدة البيت بلا منازع. يترك لها زوجها حرية التصرف في شؤون بيتها وتربية أولادها.

وقد يوكل إليها أموراً مهمة في تدبير القضايا الخارجة. كما أن بإمكانها أن تنوب عنه في حل أمور كثيرة متفق عليها. ودليلنا على ذلك ما نذكره عن بعض النساء الدرزيات الشهيرات:

١ ـ الست سارة:

كانت اولى النساء، وابنة شقيق الحد الخامس، التالي بهاء الدين، وقد أوكلت اليها أمور كبيرة، ومهام خطيرة، قد يرزح تحتها الرجال. منها العمل على إعادة المنحرفين عن العقيدة الى أصالة الدعوة، في وادي التيم، ونقل رسالة الى القرامطة في البحرين.

٢ ـ الست جندلة:

وهي التلميذة الاولى للأمير السيد عبدالله التنوخي (ق.س). كان بيتها في عين كسور مجمعاً للنساء المتدينات الفاضلات، يتحلقن حولها في غرفتها المتواضعة المخصصة للذكر، يستمعن الى أقوالها وشرحها. ويتعلمن منها القراءة والكتابة، بعد أن كانت في أول شبابها أمّية. وكان الأمير السيد عبد الله (ق.س) يعتمد عليها في حفظ النساء في جو الإيمان والتوحيد.

٣ ـ الست نسب التنوخية:

والدة الامير فخر الدين المعني الكبير، التي تعهدت ولديها اليتيمين فخر الدين ويونس بالتربية والسياسة معتمدة على أخيها الامير سيف الدين التنوخي. وقد نقل الاميرين الى البلونة الشيخ أبو مصلح من عين كسور وكان مستشاراً للست نسب بعد أن تخلى عن نزعته اليمنية نكاية بأقاربه اليمنيين. وكان الأمير فخر الدين عند استلامه الحكم وتخليه عن عهدة الشيخ ابو مصلح، يرجع الى والدته في أمور السياسة والاجتماع. ويقال إن الست نسب كانت بارعة الحسن وتنظم الشعر.

٤ ـ الست حبوس الارسلانية:

ولدت في الشويفات سنة ١٧٦٩م وهي ابنة الأمير بشير أرسلان وزوجة الامير

الدروز في كل مكان شعروا أن هناك مؤامرة تسعى لطردهم من بيروت التي حكموها مئات السنين وزرعوا دماءهم في كل حبة رمل من رمالها، فعادت الوحدة بين بيروت والجبل، أي بين الماضي والحاضر.

= عباس فخر الدين ارسلان. تولت مقاطعة الغرب سنة ١٧٩٤م بعد وفاة زوجها. دبّر لها الامير بشير الشهابي مؤامرة لاغتيالها. فقتلت ودفنت في بشامون. أولادها: منصور وأحمد وحيدر.

٥ ـ الست نظيرة جنبلاط:

تسلمت زعامة أسرتها بعد وفاة زوجها فؤاد بك جنبلاط سنة ١٩٢١م وكان من حسن تربيتها أن أنجبت كمال جنبلاط المفكر والسياسي والصوفي. كانت جديرة في حمل المسؤولية أيام الفرنسيين، مسموعة الكلمة، قديرة في تصرفاتها، ذكية في تعاملها. بقيت تتعاطى السياسة حتى كبر أبنها كمال فاعتزلت تاركة الامور بيده.

كما اشتهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ثلاث نساء هن: شمس المصلحية ـ ورد العمادية ـ فاخرة التلحوقية. الاولى من عين كسور والثانية من كفرنبرخ والثالثة من بيصور. لم يشتهرن بالسياسة لكن بالقدرة والحنكة والمعرفة والذكاء.

وذلك نقلاً عن الشيخ هاني أبو مصلح وفريد بك العماد وسليمان بك بو عزالدين وزهر عبد الملك.

مسألة تربة الدروز

أنطون سيور، وكان قنصلاً لفرنسا في بيروت، ادعى أنه يملك قطعة أرض اشتراها في تربة الدروز وأصدر حكماً بتملكها[1]. لكن دروز بيروت ساءهم هذا التعدي على أملاكهم العامة وهم من أقدم العائلات البيروتية الأصل. فهبوا يطالبون باسترجاع حقهم المسلوب، من ورثة انطون سيور، طاعنين بالحكم وبالشراء الذي تم. ولما كان عددهم قد أضحى قليلاً في بيروت، وكانت فرنسا عدوة الدروز، لا سيما بعد ثورة سلطان باشا الأطرش، أوكلوا أمر هذه القضية الى عارف بك النكدي من عبيه والمولود في بيروت، وهو الشخصية القوية التي لا يمكن أن تمالىء الفرنسيين او أن تخضع لتهديداتهم وتأخذ بوعودهم.

وفي سنة ١٩٣٣ دعا عارف بك الدروز في لبنان وسورية وفلسطين للتجمع في بيروت للقيام بمظاهرة تطالب برد الحكم الصادر لمصلحة سيور، وإعادة الارض الى أصحابها الدروز، فهي ضمن التربة التي يدفنون فيها موتاهم. وهي علاوة على ذلك أرض قديمة موروثة.

اجتمع في بيروت ما لا يقل عن عشرين الف درزي، راحوا يهتفون بالعدل، رافضين التنازل عن الأرض نتيجة حكم جائر غير محق، مهما كلفهم الأمر. وكان عارف بك على رأس المظاهرة، فتقدم من مدير الشرطة الفرنسي

---

(١) مساحة تربة الدروز واسعة جداً. ويدفن فيها اليوم أي درزي يسكن بيروت. كما يدفن فيها أي درزي من أية منطقة كانت، إذا شاء أهله ذلك. واقيمت فيها دار الطائفة الدرزية.

قائلاً له بلهجة حازمة: «إن هذه الجماهير لا يمكن إيقافها إلا بعد الحصول على حقها الكامل في ملكية هذه الارض الموروثة من الأجداد». فرفع مدير الشرطة الحكم القضائي في وجه النكدي الذي سرعان ما انتزعه ومزقه قائلاً له: «تعال معي الى المسيو جيناردي مستشار الاوقاف في مفوضيتكم وهو يخبرك».

جرت مشادة بين عارف بك ومدير الشرطة الفرنسي، وكان النكدي فيها قوياً على تسلط خصمه.

ورضخ مدير الشرطة بعد ذلك، وركب السيارة بجانب النكدي. فغلى غضب الجماهير المتراصة، ظانة أن مدير الشرطة قد اعتقل عارف بك، فهاج المتظاهرون وحملوا السيارة على أيديهم كقصاصة ورق، ثم علا الحداء. وشق الجو تهديد كالرعد، والسيارة يتراقص بها الثائرون في الهواء.

دب الرعب في قلب مدير الشرطة، ورجا من النكدي أن يهدىء الجماهير ويشرح لهم حقيقة الأمر. أنزلوا السيارة وهم يتدافعون لرؤية عارف بك والتأكد من صحة ما سمعوا. وقف عارف بك في السيارة وأفهمهم واقع ما يجري، مطمئناً واعداً أنه لن يتراجع عن إعادة التربة الى الوقف الدرزي، لأن هذا حق شرعي للدروز لا يمكن التساهل فيه.

وعلا هتاف الجماهير الهائجة:

عا شطوط بحرك يا بيروت
يا مننجح يا بدنا نموت

. . . .

هيـدي التربـة تربتنـا
ما منفوتـا لـو منمـوت.

وكان جيناردي العادل الذي أدرك خطورة هذه القضية، وتأثيرها على الأمن العام، قد ألغى حكم المحكمة الجائر. ثم أرسل المفوض السامي الكونت دو مارتيل سنة ١٩٣٣ كتاباً الى شيخي العقل والى عارف

بك[1] يثبت فيه حق الدروز في ملكية أرض التربة، بعد استئناف ورثة سيور الحكم[2].

---

(١) شيخا العقل كانا الشيخ حسين حمادة والشيخ حسن طليع.

(٢) **عارف بك النكدي (١٨٨٧ ـ ١٩٧٥)**

ولد عارف بك النكدي في بيروت وقيد في سجل نفوس بلدة كفرفاقود في منطقة المناصف التي كان يحكمها النكديون في عهد المقاطعجية.

سكن عبيه ودفن فيها سنة ١٩٧٥م إذ أن النكديين انتقلوا الى عبيه من دير القمر سنة ١٩٤٥م.

تقلب في مناصب رفيعة جداً في سورية ولبنان. وكان غزير المعارف، واسع الثقافة، قوي الشخصية، مناوئاً للاستعمار مع رفاقه من طائفته كالأمير عادل ارسلان والشيخ هاني أبو مصلح من عين كسور، والاستاذ علي ناصر الدين من بمريم.

تسلم الأوقاف من سلفه الشيخ سلمان ابو مصلح سنة ١٩٣١م وبقي مديراً لها حتى مماته. مواقفه الوطنية لا تحصى. كان يعد من أهم زعماء الدروز بل أشدهم تمسكاً بحقوق الطائفة والقيم الانسانية.

من أهم أعماله:

١ ـ إنشاء بيت اليتيم الدرزي في عبيه.

٢ ـ إنشاء المدرسة المعنية في بيروت.

٣ ـ إنشاء المدرسة التنوخية في عبيه.

٤ ـ إنشاء المدرسة المهنية في عبيه.

له كتب في التاريخ والقضاء. شغل في سورية المناصب التالية:

١ ـ مدير عام العدلية. ٢ ـ عضو المجمع العلمي العربي. ٣ ـ صاحب جريدة الايام. ٤ ـ محافظ السويداء.

أما الشيخ سلمان ابو مصلح سلفه في إدارة الاوقاف، فقد ولد في عين كسور سنة ١٨٧٠م وتوفي فيها سنة ١٩٥٩م وكان يعتبر مع رفيقه الشيخ فرحان العماد ركني النزعة اليزبكية.

ترجمة الكتاب

المفوضية العليا للجمهورية الفرنسية
في سورية ولبنان
بيروت في ١٢ كانون الأول سنة ١٩٣٣م
مراقبة الأوقاف وتسجيل الملكيات ١٠٢١١

يا صاحب السماحة :

لقد أردتم اطلاعنا على الغضب الذي أظهرته طائفتكم إثر الحكم الصادر عن المحكمة المدنية في بيروت، في قضية هوراس سيور والطائفة الدرزية.

إني اؤكد لكم مرة أخرى أنه لن يحصل ـ مهما كان المخرج القضائي لهذه القضية ـ نزع ملكية العقار الذي تستعملونه مقبرة لكم في الوقت الحاضر.

تفضلوا يا صاحب السماحة بقبول تأكيدنا لعلو مقامكم.

التوقيع
د. دو مارتيل

يبلغ الى سماحة الشيخ حسين حمادة
شيخ عقل الطائفة الدرزية

ومسألة تربة الدروز قديمة. فقد دفن فيها الشهداء الذين شنقهم جمال باشا العثماني سنة ١٩١٦م، وذلك بعد أن رفض تسليم جثثهم الى ذويهم. فكانت محاولة لهضم هذه الأرض وضمها الى أملاك الدولة، وهي الارض المتسعة التي جزأها شارع «فردان» بعد أن شقته الدولة. وفي سنة ١٩٣٠ تألفت «جمعية التضامن الدرزي في بيروت». وكان لها شأن في العمل على استرداد الأرض المسلوبة إذ كانت السند الأكبر لعارف بك النكدي في مطالبته. عدل

اسمها سنة ١٩٦٧ فأصبحت «جمعية التضامن الدرزي».

في هذه التربة أقيم ضريح المناضل الكبير والشاعر القدير ابراهيم بك عبد الملك ١٨٨٥ ـ ١٩٤٤م. من بلدة بتاتر، ونقش عليه هذان البيتان:

عشت ستين بأرض خيمت فيها المذلة
ليتها عشرين كانت في بلاد مستقلة

وننشر لشاعرنا قصيدته في رثاء البطل عادل بك النكدي الذي سقط في مقاومة الفرنسيين في ثورة ١٩٢٥م تدل على تقديره لنضال الأبطال وحبه لوطنه ومقاومته للأجنبي: [(١)]

---

(١)

لا فرق إن دفنوك في لبنان أو في الجزيرة أو ربى حوران
فجميعها الوطن الفسيح ليعرب جد التنوخيين والنعمان
ومروجها المرعى الخصيب لخيلهم من عهد عدنان الى غسان
وضريحك الغالي محط رحالهم ومحجة لقصيهم والداني
ولأنت من لو قيل هذا قبره ركع المصلون التقاة ثماني
وإليه حجّ المؤمنون وأنزلت فيه الركائب من بني قحطان
آه بيوم قد نعيت بصبحه ما كان أقساه على الأوطان
مات الحبيب فأين رحت سمعته مات الحبيب ترن في الآذان
فكأنه نعي الإمام بقومه أو نعي كسرى داخل الإيوان
هبوا كأن البحر هبَّ مزمجراً وكأن يومك ساعة الطوفان
تحت البيارق أقبلوا وكأنهم لبُّوا ليوم وغى ويوم طعان
ليت الرصاصة لم تصبك وليتها خرقت حنايا أضلعي وجناني
بل ليت راميها رآك كالأسد الجريح تجول في الميدان
لوهن عزيمته وطار صوابه ورست رصاصته بغير مكان
سر يا أخي نحو النعيم ودع هنا الإسلام آلام الحياة يعاني
فإذا بلغت الخلد حيث محمد في رفقة الأنصار والأعوان
أسرع خطاك وصح كرعد قاصفٍ قل يا نبي الله شعبك فاني
عاف الشهادة والعبادة مثلما أقوت عقائده من الإيمان

عادت العلاقات متينة بين الدروز في لبنان عامة وبين دروز بيروت. وتضافرت الجهود لإثبات وجودهم في المدينة، عن طريق التشاور والبحث في إقامة مظهر يدل على وجودهم فيها ويجمعهم في المناسبات العامة أسوة بغيرهم من الطوائف في لبنان، فأقاموا قاعة كبيرة في أرض تربة الدروز، وأنشأوا جمعية تعنى بمطالبهم، وتعمل على حفظ حقوقهم في دولة تقوم على الطائفية.

وفي سنة ١٩٥٣م توجت هذه الجهود بإنشاء دار فخمة للطائفة عامة، كرّس لها الشيخ محمد أبو شقرا شيخ العقل آنذاك كل ما لديه من نشاط. وارتفعت الدار في تربة الدروز آية في جمال البنيان ودقته، وشيدت بالحجر الابيض الرائع بأيدي أمهر البنائين والنحاتين من أبناء الطائفة.

كانت الدار المركز الرسمي لمشيخة العقل، يستقبل فيها شيخ العقل الشخصيات السياسية والاجتماعية في المناسبات الرسمية. وفي حفلة التدشين التي حضرها رئيس الجمهورية آنذاك كميل شمعون، جاء في كلمته التي ألقاها ما يعبّر تعبيراً صادقاً عن مكانة الدروز في لبنان وقدمهم ومآثرهم، وذلك في ١٦/١/١٩٥٣م:

«للطائفة الدرزية في قلبي مكانة توطدها مودة عالية واحترام متبادل العواطف تفعمني اغتباطاً بحضور هذا الاحتفال. وما نشأ الدروز إلا على عز من السجايا، فهم في أيام الفاطميين والعباسيين مثلهم في يوم نزلوا وادي التيم، وامتدوا الى قمم الشوف والعرقوب والمتن والجرد ومنطقة الغرب، مثلهم في صفد واللجاه، سادة أباة ضيم «كينبوع الصفا خشنوا ورقُّوا» عزة في همم وانفتاح في شمم، ووفاء للجار وذمة للأخوة وشجاعة دونها الدرع والمجن، وصفحات مشرقة ترتقي الى القرن الخامس للهجرة، يوم تأصلوا عروقاً في لبنان، فكانوا له من أبر الأبناء، وكان لهم من أعز الأوطان.

بنو معروف قطعة من صميم الجبل، عمرت صدورهم إيماناً بمحبته،

وتعلقاً بأرزته. يؤمنون بكيانه ومصيره، إيمانهم بالخالق الحي. يحرصون على حريته وكرامته حرصهم على أقدس مفاخر النفوس. وقد درجوا في بيوتاتهم الكبيرة وبيئاتهم العامة والخاصة على مبدأ الوفاء له، والذود عنه، والاستماتة لأجله. وهي حقيقة يطيب لي أن أشيد بها في هذا الجو العابق بروح الوطنية الحق والألفة الشاملة».

---

(١) **الشيخ محمد أبو شقرا**

ولد في عماطور الشوف سنة ١٩١٠م. عاش فترة من حياته في دمشق، كان فيها جريئاً قوياً مهاباً. أحبه في دمشق جميع معارفه لمناقبه وحميته، وغيرته على مساعدة إخوانه من أية منطقة كانوا.

عين شيخ عقل الطائفة الدرزية في لبنان سنة ١٩٤٩م فتوحدت به المشيخة بعد وفاة الشيخ رشيد حمادة، فعادت به وحدة الدروز الروحية، بعد أن كانت انقسمت إثر وفاة الشيخ أحمد أمين الدين الذي وهب أملاكه وقفاً للدروز.

كان يقيم في بلدة بعذران، في دارة فسيحة الارجاء ابتناها. توفي في بعذران في ٢٤/١١/١٩٩١.

أعماله:

١ ـ إنشاء دار الطائفة الدرزية في بيروت.
٢ ـ إنشاء المجلس المذهبي عام ١٩٦٢.
٣ ـ إنشاء مكمة الاستئناف العليا.
٤ ـ تأسيس المؤسسة الصحية للطائفة في عين وزين سنة ١٩٨٣.

جرى تعيينه في اجتماع جرى في عبيه في مقام الامير السيد. وكان من أهم الذين اقترحوا تعيينه الأمير عادل أرسلان وعارف بك النكدي.

(٢) **الأمير عادل أرسلان (١٨٨٧ ـ ١٩٥٤)**

شاعر ومناضل وسياسي ذاع صيته في العالم العربي والأجنبي. ولد في =

= الشويفات سنة ١٨٨٧م وتوفي فيها سنة ١٩٥٤م. حائز على شهادة الحقوق. غزير الثقافة، فذ الشخصية، مدرك جريء. تقلب في مناصب كثيرة كان فيها رجل النزاهة والاخلاص لقضايا وطنه وشعبه.

١ - عين قائمقاماً للشوف سنة ١٩١٤م.

٢ - عين رئيس ديوان أمير الاردن ومستشاره الخاص، بعد سقوط دمشق بيد الفرنسيين من سنة ١٩٢١م حتى سنة ١٩٢٣م. وكان أمير الاردن عبدالله الذي أصبح فيما بعد ملكاً للاردن.

٣ - عين سكرتيراً خاصاً للأمير فيصل في دمشق سنة ١٩١٩م.

٤ - انتخب نائباً في مجلس المبعوثان في الاستانة من سنة ١٩١٦ حتى سنة ١٩١٨م.

٥ - نزح الى مصر بعد احتلال آل سعود مكة سنة ١٩٢٤.

٦ - التحق بالثورة السورية الدرزية التي قادها سلطان الأطرش سنة ١٩٢٥م.

٧ - عين سفيراً لسورية بعد الحكم الوطني في أنقرة من سنة ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٣٨م، بعد أن كان حكم عليه بالاعدام ثلاث مرات من الفرنسيين سنة ١٩٢٠ و١٩٢١ و١٩٢٥م.

٨ - عين وزيراً للمعارف في سورية سنة ١٩٤٦م.

٩ - عين وزيراً للخارجية في سورية سنة ١٩٤٧م.

١٠ - انتخب نائباً عن الجولان سنة ١٩٤٧م.

وكانت تربطه بالشيخ هاني ابو مصلح من عين كسور أخوة وود. فالاثنان من رجال العلم والسياسة والأدب والجرأة. وقد عرفت الأمير عادل وأنا صغير، حين كان يأتي الى عين كسور لزيارة الشيخ هاني ومعه ابنة أخيه الامير شكيب مي، التي أصبحت فيما بعد زوجة كمال جنبلاط.

توفي الامير عادل ودفن في الشويفات سنة ١٩٥٤م. ولقب بأمير السيف والقلم.

أما الشيخ هاني أبو مصلح فقد توفي في عين كسور سنة ١٩٧١م، بعد جهاد أدبي وسياسي وصحافي ونضال باسل في فلسطين وسورية.

وكانت ولادته في عينَ كسور سنة ١٨٩٣م.

ونذكر من شعر الأمير عادل هذه الأبيات رداً على قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي للسلطان رشاد العثماني يطلب فيها منه إطلاق أحد السجناء:

إن الـذي استصـرختـه فـي قصـره ... هَـمٌّ علـى المستصـرخيـن طـويـل
لـو نـال مقـدرة لأطلـق نفسـه ... لكنـــه مـــن دون ذا مكبـــول
فـإذا شكـوت فمـا لـه مـن مبلـغ ... وإذا قصـدت فمـا إليـه سبيـل
دعـه ولا تسـألـه شيئـاً إنّـه ... لا سـائـل شيئـاً ولا مسـؤول
وارحـم رعـاك الله منـة شيبـة ... هـي لا سـواهـا التـاج والإكليـل

ونذكر كذلك من قصيدة في وصف المعارك ضد الفرنسيين التي خاض غمارها:

أبى الحر وابن الحر نفساً ومحتداً ... بـلاداً يـرى الأحـرار فيهـا مـواليـا
حـواضـر عـاف المرء فيهـا مقـامـه ... وفضّـل مختـاراً عليهـا البـواديـا
بـأعـداء جـلابيـن للشـر جهـدهـم ... فمـا يصبحـون النـاس إلا أعـاديـا
إذا طولبوا بالحق جاشوا وجيشوا ... فحزُّوا رؤوساً أو فحزوا نـواصيـا
رمـونـا بـديـناميـت حتـى تقلقلـت ... جبـال علـى حـوارن كـانـت رواسيـا
فما غيروا القلب الذي كان مخلصاً ... ولا أوهنوا العزم الذي كان ماضيا
لقينـا بفعـل الغـدر منهـم عجـائبـاً ... ولكن لقوا في الحرب منا الدواهيا
فتمـدينهـم هـذا الخـراب وعلمهـم ... قنـابـل لـم يبـرح بهـا الشـرق داويـا
ودبّـوا بـأبـراج الحـديـد كـأنهـا ... سـلاحـف مـا يمشيـن إلا تهـاويـا
دوارع يلقـاهـا الفتـي وهـو حـاسـر ... يصـادمهـا بـالفـأس جـذلان حـاديـا
إذا الـوطـن المحبـوب فـاز بحقـه ... وجـدنـا الـرزايـا فـي هـواه تعـازيـا

في عهد الاستقلال

(١) الأمير مجيد ارسلان (١٩٠٨ - ١٩٨٣م)

يقوم قصره في خلدة جنوبي بيروت، على طريق صيدا القديمة. كان رجلاً شجاعاً، مهاباً، وقور الاطلالة، وبطلاً للثورة على الفرنسيين التي اتخذت مركزها في قرية بشامون.

اشتهر بصدقه، وأمانته، وطيبة قلبه، وتضحيته المثالية في سبيل أصدقائه. كان شعبياً، خادماً لمطالب الناس، موالياً للدولة لأنه يعتبر أنه من أهم مؤسسيها. لكنه إذا غضب حرّك لبنان بأسره.

وكان الشخصية السياسية الأقوى في جبل لبنان. تأثيره خارق على جميع الدروز في جميع المناطق. وهو السياسي الوحيد في لبنان، الذي دامت نيابته حتى آخر أيامه دون انقطاع.

بطل الاستقلال سنة ١٩٤٣م. وبالرغم من وفاته التي مرّ عليها ثلاث عشرة سنة، فما يزال الشعب يحفظ ذكره ولا ينسى تضحياته في سبيل الناس على اختلاف طوائفهم ومناطقهم.

وبالرغم من شجاعته وقوته، لم يلجأ الى قتال أهلي او الى أي نوع من الفرقة بين المواطنين بحجة شعار ما أو مكسب شخصي. فلم يوزع مرة سلاحاً على رجاله لأي عمل قتالي، لأنه كان يدرك سلفاً نتائج الفتن الداخلية في تفتيت القوى الوطنية وخراب النفوس ودمار المستقبل.

احترمته جميع الفئات المتحاربة في مماته، فأوقفت القتال ريثما يتم دفنه في خلدة الى جانب عمه العظيم الامير فؤاد ارسلان صاحب النصب البرونزي، ومن المؤسف أن لا تفي الدولة هذا الزعيم حقه أسوة بغيره من رجال الاستقلال وهو اولهم، بإقامة تمثال يليق بخدماته.

=

الاستقلال اللبناني سنة ١٩٤٣ الذي جاء بعد الانتداب الفرنسي، قام على سواعد الوطنيين الناقمين على فرنسا وعلى رأسهم الدروز. فقد ارتفع العلم الاستقلالي أول ما ارتفع في بلدة بشامون بقيادة الأمير مجيد أرسلان. وسقط في معركة بشامون أول شهيد للاستقلال سعيد فخر الدين من بلدة عين عنوب، فكان الشهيد الوحيد.

إذاً، كانت بشامون مركز حكومة الاستقلال فاعتبر الدروز أنفسهم في طليعة محرري لبنان من الانتداب الفرنسي، فقويتْ معنوياتهم وساد حياتهم

= وقد قلت فيه:

هـذا الـزعيـم إذا تكـدّر صـامتـاً   ثـارت لـرعـد سكـوتـه الأمصـار
وإذا تبسم للصباح منوراً   رقّ النسيم وغنت الأطيار

المهام التي تسلمها:

١ ـ انتخب سنة ١٩٣١م نائباً بالتزكية خلفاً لوالده الامير توفيق ارسلان.
٢ ـ عين وزيراً للزراعة سنة ١٩٣٧م.
٣ ـ عين وزيراً للصحة سبع مرات.
٤ ـ عين وزيراً للدفاع اربع وعشرين مرة.
٥ ـ عين وزيراً للزراعة تسع مرات.
٦ ـ عين وزيراً للهاتف ثلاث مرات.
٧ ـ عين وزيراً للاسكان مرتين.
٨ ـ عين وزيراً للأشغال مرة واحدة..
٩ ـ عين وزير دولة مرة واحدة.
١٠ ـ عين وزيراً للعدلية مرة واحدة.
١١ ـ عين وزيراً للداخلية مرة واحدة.
١٢ ـ عين القائد الأعلى للقوات اللبنانية في جيش الانقاذ.

استمر بالنيابة اثنتين وخمسين سنة دون انقطاع (٥٢ سنة). تزوج من الست لميس شهاب وأنجب منها ولدين الاميرين توفيق وفيصل، وبعد وفاتها تزوج من الست خولا جنبلاط وأنجبت له ثلاث بنات وولد واحد هو الامير طلال النائب والوزير.

نشاط سياسي أدى الى نشاط اقتصادي، دفعهم الى الخروج من عزلتهم الجبلية التي فرضتها عليهم الأوضاع السياسية في عهد العثمانيين والفرنسيين على السواء.

وكان للازدهار التجاري والسياحي والعملي الذي عرفته بيروت، دافعاً لهم الى النزول اليها والعمل فيها، مخلفين الحياة الزراعية في قراهم. وفرح الدروز عامة لأن النضال الطويل ضد الاستعمار الذي قدموا له أكبر التضحيات، أثمر استقلالاً طالما انتظروه[١].

وكانوا في حكومة الاستقلال أصحاب كلمة وشأن. وكان قسم منهم قد استفاد من النشاط الثقافي والعلمي زمن الفرنسيين، فحصل على مستوى علمي خوّله دخول وظائف الدولة. ثم لما ازدهرت الحياة التجارية والاقتصادية والصناعية في بيروت، اندمج فيها شبان من الدروز فأثرى بعضهم.

وأخذت أفواج الشبان الدروز تؤم بيروت للعمل والدراسة، فاضطروا الى السكن فيها واستئجار مساكن لهم.

ولم تمض سنوات على عهد الاستقلال حتى راحوا يشترون العقارات في المدينة، قادمين من الجبال. لا سيما في المناطق المسيحية، كعين الرمانة والاشرفية، علاوة على أماكن أخرى في وطى المصيطبة وكركول الدروز وجوارهما.

أما دروز بيروت فظلوا في أحيائهم القديمة يتعاطون التجارة والاعمال

---

(١) كان العرف المتبع في فترة الاستقلال أن يكون محافظ بيروت درزياً. وقد درجت الدولة على ذلك فترة طويلة الى أن تبدل الوضع أخيراً وحرم الدروز من هذا المنصب.

نذكر من محافظي بيروت: شفيق بك الحلبي وكامل بك حمية والامير رفيق ارسلان.

الحرة، مستفيدين من قدوم اخوانهم للتزاور والاجتماعات في الأمور العامة. ونتيجة بوار الزراعة وكساد المنتجات الزراعية وأتعابها وعلو كلفتها هجر أبناء الجبل جبالهم ونزلوا بيروت لتأمين وظائف تؤمن لهم معيشتهم[1].

وكان مقابل تملك دروز الجبل في بيروت تقلص في أملاك الدروز البيروتيين، في جل البحر، وساقية الجنزير ورأس بيروت، حيث ارتفعت أسعار الأراضي ارتفاعاً أغرى الاكثرية الدرزية هناك، فأخذت تبيع ممتلكاتها الموروثة من عهود قديمة.

وفي عهد الاستقلال، كانت بيروت قد أصبحت محط أنظار العرب. فنشطت فيها التجارة والصناعة والأعمال الأدبية. واتسعت مساحة البناء لوفرة ساكنيها من عرب وأجانب ولبنانيين جبليين وغيرهم.

في هذه الأثناء زادت العلاقات بين دروز بيروت ودروز الجبل القادمين، فقاموا بمشاريع عامة لهم، كدار الطائفة، والجمعيات والمؤسسات على اختلافها.

شعر الدروز عامة أن بيروت أصبحت من جديد بالنسبة إليهم مدينة توازي محبتهم لها ودفاعهم عنها أية قرية من قراهم. فوظفوا فيها أموالهم بالتجارة والوكالات والعقارات والبناء، حتى صرت ترى في كل شارع من شوارع بيروت تقريباً مظهراً من مظاهر الدروز. فكثرت محلاتهم التجارية وأبنيتهم وشققهم

---

(١) كان حسن العلاقة والعيش المشترك بين المسيحيين والدروز في منطقة الجبل، دافعاً للدروز الى السكن في الأحياء المسيحية في بيروت.

كانوا يشعرون بنوع من الانسجام والتقارب مع المسيحيين لدماثة هؤلاء ولياقتهم، مع محافظتهم على علاقة طيبة مع المسلمين والسكنى بينهم منذ القديم. ولكن للأسف كانت الحوادث التي بدأت سنة ١٩٧٥م مخيبة للآمال، كاشفة عن نوايا سوداء، *قد لا يكنها الشعب المسيحي، وإن كانت فرضت عليه فرضاً من قبل* الزعماء الذين دفعوه الى هاوية قتالية، كانت نتيجتها تهجير المسيحيين من الجبل.

يا شعب لبنان الحبيب، أحسنوا اختيار زعمائكم، تسلموا من الضيم.

السكنية. أنشأوا المصارف والفنادق الكبيرة والمؤسسات التعليمية والجمعيات الادبية والاجتماعية.

والذي وسع انتشارهم في أحياء بيروت، بعدهم عن التعصب. فقد سكنوا الأحياء المسيحية والأحياء المسلمة على السواء، دون أن يبدر منهم أي إزعاج أو أية إساءة الى أحد. فقد امتازوا باللياقة واللباقة واحترام مشاعر الآخرين الفكرية والسياسية والمذهبية.

حتى كانت ثورة سنة ١٩٧٥م، فكان لهم دور كبير في بيروت باسم الحزب التقدمي الاشتراكي بقيادة وليد بك جنبلاط. في هذه الثورة انضم دروز بيروت الى اخوانهم وحملوا السلاح معاً في هدف واحد، وهو الحفاظ على لبنان مستقل لجميع أبنائه. وكان تواجد القوات الاشتراكية كثيفاً وفعالاً، لا سيما في جل البحر ومنطقة الكولا ورأس بيروت وكركول الدروز.

لن اتطرق للكتابة عن بيروت في فترة الاحداث الأخيرة. لأن الكتابة عنها تجرنا الى أعماق سياسية قد تتشعب وتتنوع الى درجة قد تسيء الى بعض رموز القتال من جميع الفرقاء. والكاتب الحر حياته على رأس قلمه، فإما ممالىء للواقع يكسب في ممالأته عيشه وحياته، وإما ناقد صادق قد يقوده صدقه الى حتفه.

والوطنية عندنا تختلف مفاهيمها باختلاف الايديولوجيات والنزعات والمصالح. فما هو جوهر الوطنية عند فئة ما هو نفسه عنوان الخيانة عند فئة أخرى، في وطن لم تحدد في أذهان سكانه بعد جغرافيته وانتسابه وتاريخه.

فعذراً إن توقفت عن الكتابة عند هذا التاريخ. ولا بد بعد فترة، حين تهدأ الأحوال وتتبدل الظروف أن ينبري مؤرخ نزيه، عميق مخلص للبحث والتحليل والتدقيق، مستنداً الى وقائع وحقائق ما زالت حتى الآن غامضة أمام أعين الأكثرية من الناس.

أما العالمون بحقائق هذا الصراع العبثي، والمدركون مؤامرات الدول والدارسون نفسية المجتمعات الشعبية، فصمتوا منتظرين فرصة الحرية التي تخولهم إظهار الحقائق.

جل ما يمكنني أن أقول: إن زعماء القتال أوهموا أنهم يسيرون في خطاهم شرقاً فإذا بهم في نهاية المطاف يسيرون غرباً.

من يحاسب؟

إنهم فقط الاقوياء، أصحاب السلاح الفتاك الذي يستخدمونه لقهر الشعوب.

مسكينة أنت يا بيروت:

دمروك وشتتوا أهلك. وأشعلوا في كل أحيائك النيران. ثم وقفوا على الخراب يعملون لبنائك. أليس رهيباً أن يكون الباني هو نفسه الهادم؟

مسكينة:

هل تعودين جنة الشرق كما كنا نسميك من قبل؟

خوفي أن يكون نبش آثارك اليوم مقبرة لماضيك الوطني النظيف.

***

إذاً، كان لازدياد عدد الدروز المسجلين في دوائر نفوس بيروت، اهتمام الدولة بهم والعمل على انصافهم بإصدار مرسوم إلحاق درزي واحد الى جدول المرشحين للنيابة في بيروت. لا سيما وقد ارتفع العدد العام للنواب في لبنان ارتفاعاً مذهلاً وذلك بحجة إرضاء جميع الفئات التي شاركت في الحرب الأهلية المخجلة وفي خراب البشر والحجر.

والمؤسف ونحن في القرن العشرين، قرن الحضارة والعلم كما يسميه الناس، أن نبقى نفكر طائفياً ويظل نظام هذا البلد الموبوء بالطائفية الضيقة

الغبية، يقضي على الطموح الفردي والجماعي، مسهلاً الشقاق المستمر بين المواطنين، ليبقى جمـر الفتنة تحت الرماد، معرضاً كل لحظة للاشتعال والتخريب.

حبذا لو تزول الطائفية السياسية في بلد صغير كلبنان يدعي الإشعاع والتحضر، ويضحك على شعبه وعلى نفسه حين يصرح أنه بلد ديمقراطي منفتح يقدس حرية الفرد، وينادي باللاطائفية ويحذر منها ويحاول محاكمة من يبثها.

غريب أمرك يا لبنان..

فإذا كان هذا الكتاب مخصصاً لتاريخ الدروز في بيروت، فلاثبات أن هذه الطائفة القليلة العدد اليوم بالنسبة للطوائف الأخرى، لم تفكر في هضم حقوق الطوائف الاخرى يوماً ولا سعت الى اختلاق الحجج لتتولى حكم هذا البلد.

إنها طائفة وطنية النزعة. تفكر وطنياً وتشعر وطنياً وتقاتل وطنياً. كان هذا شأنها في كل بلد نزلته. وكانت تضحياتها بالمال والرجال دون انقطاع ودونما مآرب خاصة طائفية ضيقة، بل عامة في سبيل القضايا الوطنية للحفاظ على أرض الجدود وتاريخهم.

وجدودهم العرب. وتاريخهم الإسلامي.

وقد كتبت بعض تاريخهم في بيروت لكي يكونوا نموذجاً صالحاً، على الحكام اليوم السير على خطاه ومبدئه. فلا يمكن لوطن أن يحيا ويستمر في نظام فوقي يعلي أناساً ويخفض آخرين، ضارباً عرض الحائط الكفاءات والقدرات ونظافة الانتماء.

هل يطول بي العمر لأشهد تحقيق حلمي في إزالة النظام الطائفي المهدم. وخلق دستور ديمقراطي وطني متمدن يتساوى فيه المواطنون جميعاً في لبنان.

اللهم افتح عيوننا وقلوبنا وأفكارنا على حب الوطن.

العائلات الدرزية في بيروت

مرّ معنا أن في بيروت عائلات درزية أصيلة، قديمة العهد، تقبلت الدعوة التوحيدية حين كانت قاطنة فيها. وكان عدد أفرادها في البداية غير قليل. ثم تقلص لأسباب ذكرناها قبلاً.

ثم عاد الى التكاثر بعد أن انتقل الى بيروت دروز من الجبل، وأكثر الذين هجروها هرباً من الظلم والتعدي. وسجل القادمون من مناطق مختلفة في دائرة نفوسها. وكان يمكن التفريق بين الدروز القديمي العهد في بيروت وبين القادمين من الجبل، من لهجتهم ولباسهم. فهؤلاء لهجتهم بيروتية أصيلة يتكلم بها البيروتيون على اختلاف أديانهم ومللهم، وفيها مطٌّ بالكلمات وتمغيط بالجمل ورخاوة في النطق، بينما الدروز القادمون منذ وقت غير بعيد أي منذ مطلع القرن العشرين وقبل ذلك قليلاً، فما زالت لهجتهم جبلية، وعلاقات القربى الحميمة بينهم وبين أهلهم في الجبل متواصلة.

وكما مرّ معنا ايضاً، فبالرغم من عهود الاضطهاد التي عرفها الدروز البيروتيون من الدول الأجنبية والدول الإسلامية غير العربية، فإنهم حفظوا إيمانهم في أعماقهم. فكانوا يمارسون شعائرهم الدينية في بيوتهم بعيداً عن الأعين، أو في مجالس اتخذوها أيام العثمانيين تدل على وجودهم.

ولم يختلف لباس دروز بيروت القدماء عن لباس أهل المدينة نساء ورجالاً. فكلهم تأقلموا في جو واحد طبعهم وآخى بين مظاهرهم.

وكان من نتيجة هذا الاختلاط أن أسلم بعض الدروز، لا سيما في فترات الاضطهاد الاسلامي، أو إثر زواج بعضهم من خارج الطائفة. لأن الطائفة

الدرزية لا تتقبل مؤمنين جدداً إذ أغلقت الدعوة سنة ١٠٤٢م وانتفى التبشير بها.

ونرى اليوم عائلات درزية أصيلة في بيروت، انقسمت في انتسابها الديني او المذهبي بين الدرزية والمسيحية والاسلام.

حبذا لو يتبدل النظام الطائفي السياسي الذي اتخذ دستوراً للدولة اللبنانية، فنتخلص من عقدة الطائفية السياسية التي تشوه الوجه الحقيقي للمجتمع، وتقف حاجزاً في تطور الفكر الديني والفكر العام.

وما يؤسف له أننا نرى أنفسنا نسير الى الوراء. فكلما برزت أفكار تقدمية اجتماعية وحدوية، تألبت عليها عناصر السلطة، فبعثرت كلمتها وهصرت تقدمها وأبقتنا في مرض حطم فينا النزعة الى الحضارة الصحيحة التي تعتمد الإنسان سبيلاً الى العدالة الاجتماعية، دون تمييز ديني او طائفي في الوظائف والنيابة والسياسة عامة، والقضاء والقانون.

هذه الدعوة التي نطلقها في صهر الافكار والمعتقدات الدينية في مفهوم وطني عام، هي الباب الوحيد للخلاص. وهذا ليس مستغرباً في المجتمعات الحضارية المتطورة. فالمجتمع الواعي يصهر الناس بمفاهيمه، ويصبغهم بريشته ويجمعهم بمفهومه، ويوجههم بخلفياته التاريخية والفكرية والوطنية، ليكوّن شعباً متوازناً متحداً متماسكاً.

لكن السياسة عندنا تقلب الأوضاع وتتلاعب بالعقول وتشرذم الأفكار بتنوع التعاليم واختلاف الارتباطات ووفرة المدارس التبشرية وتناقض المبادىء الوطنية. كل ذلك دون رقابة حكومية او تخطيط مستقبلي ووضوح في تحديد الوطن جغرافياً وتاريخياً وسياسياً.

هل الأجنبي أقوى منا في دارنا ليرسم لنا طريقنا ويحدد مناهجنا ويربي أجيالنا؟

يا رب!

إلى متى نبقى بلا عين ولا عقل ولا قلب؟

الى أين نسير يا أبناء هذا الوطن المنكوب بزعمائه؟

تتقاتلون في سبيل الله والله ليس لواحد منكم، لأنكم لستم لبعضكم البعض.

أسماء العائلات

١ ـ زهيري ٢ ـ روضة ٣ ـ سليت ٤ ـ شنتوت ٥ ـ عاقل

٦ ـ عود ٧ ـ غزّاره ٨ ـ ديك ٩ ـ مقعصة ١٠ ـ مياسة

١١ ـ وتوات ١٢ ـ مراد ١٣ ـ هشي ١٤ ـ فر

١٥ ـ حلبي ١٦ ـ سواح ١٧ ـ ضاروب ١٨ ـ غاوي

١٩ ـ شوي ٢٠ ـ صواف ٢١ ـ زيتون ٢٢ ـ عبد الخالق

٢٣ ـ مروش ٢٤ ـ قمند ٢٥ ـ يونس ٢٦ ـ منذر

٢٧ ـ عربيد ٢٨ ـ بيطار ٢٩ ـ حمية ٣٠ ـ حمندي

٣١ ـ حمد ٣٢ ـ رباح ٣٣ ـ ربح ٣٤ ـ رضوان

٣٥ ـ غضبان ٣٦ ـ عساف ٣٧ ـ فخر ٣٨ ـ جابر

٣٩ ـ ناصر الدين ٤٠ ـ سري الدين ٤١ ـ عريضي ٤٢ ـ خداج

٤٣ ـ بشير ٤٤ ـ حيدر ٤٥ ـ سلمان ٤٦ ـ نعمان

٤٧ ـ تيماني ٤٨ ـ الجوهري ٤٩ ـ غنام ٥٠ ـ القاضي

***

توضيح

ما دمنا تحدثنا عن تاريخ الدروز في بيروت، فمن المستحسن أن نلقي الضوء على تفسير بعض الكلمات من الناحية الفلسفية والروحية.. تلك الكلمات التي يختلف بعض الفئات الدينية في معانيها وأبعادها والمقصود الواضح منها.

سنوضحها بإيجاز وبقدر ما وصلنا إليه من فهمها، علنا نزيل غموضاً طال أمده. وشكوكاً آن لها أن تنجلي. وتفسيرات بات من الواجب الكتابة عنها.

التجلي

الله يرأف بالعباد. وهو العالم بقدراتهم المحدودة التي لا تستطيع أن تدرك المعارف الروحية والحقائق النورانية، إلا من صورة ناطقة حية مثلهم. إذ ليس بإمكانهم اختراق الحجب وبلوغ الجوهر الإلهي. لذلك تجلى الله لهم وظهر في صورة كصورهم.

وتجلي الله لا يكون مستمراً. فهو يغيب ثم يتجلى. فلو لم يظهر لخفيت الحقائق ولم يتحقق المعبود. ولو ظهر مرة واحدة دائمة، لانتفى العدل وكانت العبادة جبراً.

والصورة التي يتجلى فيها الله صورة ناسوتية ليست مغايرة له. لكنها ليست هي هو. وهذه الصورة استتار وتقريب وتأنيس بغير شبه ولا مثل. وتبدو بعين الطبيعة كماء السراب. أو كالصورة في المرآة. ليست ملموسة ولا محسوسة.

وتجلي الله في صورة ناسوتية لا يدركه كل الناس، لاختلاف في قدراتهم وأفهامهم ومعارفهم وعرفانهم. لذلك كان لا بد من دليل يرشدهم الى هذا التجلي. ويكشف لهم هذه الحقيقة في معرفة اللاهوت في صورة الناسوت.

وهذا ما يقوم به المبدع الأول أي العقل الكلي الروحاني الممثل بقائم الزمان علة العلل.

والتجلي ليس تجسيداً. لأن التجسيد يعني أن لله جسداً. وليس حلولاً لأن في الحلول تمايزاً بين اللاهوت والناسوت وانفصالاً. والتجسيد والحلول ينفيان فكرة التنزيه.

والمؤمنون العارفون وحدهم يدركون التجلي بالصورة الناسوتية. لأن بمقدورهم اختراق الحجاب الناسوتي توصلاً الى الحقائق الروحانية. أما العاديون والمحدودو الفهم، فعاجزون عن كشف الصورة ومعرفة جوهرها.

والعبادة الصحيحة المدركة لا تقوم إلا بالتجلي، خوفاً من أن يعبد الإنسان العدم. ويقع في ضبابية معرفته الروحانية، فيضيع في تخبطه إيمانه.

الصورة الناسوتية ليست الله - ليست هي هو - وإنما ظهرت تأنيساً للعِباد وتقرباً لتتم سلامة العبادة.

قال الحلاج الصوفي بهذا المعنى:

وأي الأرض تخلـــو منـــك   حتى تعالوا يطلبونك في السماء
تـراهــم ينظــرون إليــك جهــراً   وهــم لا يبصــرون مــن العمــاء

كما قال أيضاً:

ثــم بــدا لخلقــه ظــاهــراً   بصــورة الآكــل والشــارب

التنزيه

التنزيه هو نفي الصفات والأسماء والنعوت والأجناس والاشياء عن الله. يرمز الى أفعاله بما يستدل عليها من العقل الكلي الذي أبدعه الله من نوره.

والتنزيه هو أن عقول الناس عاجزة عن كنه قدرة الله وعظمته. تحار الألباب في معرفة حكمته وحقيقته. وتقف مسلمة أمام سره وإبداعه.

كما أن الإنسان مهما سمت مداركه واتسع علمه وغزرت بلاغته، فلا يجد اللغة التي تستطيع وصفه. فهو الخالق الفرد الصمد المبدع ومعل علة العلل.

فالإحاطة بحقيقته ومعرفته وسبر نوره غير ممكنة. وأية صفة يوصف بها منافية لتوحيده. لذلك فالأسماء والنعوت مقصرة مهما عظمت عن تصوير عظمته.

وإعطاء الله صفة او اسماً او نعتاً، جَعْلُه صورة عن مخلوقاته. وهذا جهل بجوهره ووحدانيته. فهو الذي لا تبلغه البصائر، ولا تراه العيون، ولا تحيط به الأوهام. فهو الواحد الذي ليس له زمان ولا مكان. لا تدركه الحواس. وليس له شبه ولا مثل. وليس له أول ولا آخر. ولا ظاهر ولا باطن. وهو باري كل شيء. من نوره أبدعت الأشياء الجزئية والكلية. فهو منفرد بذاته عن مبدعاته. وقد أوجد علة تصدر عنها الأشياء والمخلوقات كلها. وهي التي تنظم الكون.

ويحذر الموحدون المؤمنون من الكفر والشرك بالباري ومحاولة التقرب منه بتسميته ووصفه. فالناس عاجزون عن الوصول الى وعي حقيقته. أما تجليه فكان رأفة بعقولهم وتقرباً من أفهامهم، وحرصاً على راحتهم، وعطفاً على قدراتهم.

التخيير

الإنسان مخيَّر في أفعاله. قد يؤمن او يكفر. وقد يعمل شراً او خيراً. قد يكذب او يصدق. قد يحب أو يكره. فهو مسؤول عما يفعله.

وعدل الله لا يمكن أن يتطرق اليه شك، فلو كانت أفعال الناس كلها من إرادة الله بما فيها من خير وشر لانتفى عدله. ونسب اليه الظلم. وحاشى الله أن يكون ظالماً.

وبما أن الله عادل شاء تفاوتاً في قدرات الناس، فتصرف كل حسب مستوى فهمه وفكره وإيمانه، فقد جعل لهم في حياتهم أدواراً يتقلبون فيها. فكأنهم في مدرسة يتلقون فيها العلوم المختلفة. وما ذلك إلا ليفسح المجال أمامهم لكي يبلغوا في الأدوار المتعاقبة درجة المعرفة والطهر وكشف الحقيقة التي تسمح لهم بإدراك المنابع الروحانية والتقرب من الجوهر الكلي.

فالعدل الالهي يفرض ألا يكون الانسان مجبراً على فعله، ليتم حسابه من عقاب وثواب. والتجلي يصب في هذا المفهوم.

وأخيراً. مهما قيل في الدروز فهم فرقة من فرق الشيعة، كالإسماعيلية والقرمطية والنصيرية.

ومهما قيل ايضاً عنهم، فهم من الإسلام.

قصائد في بيروت

للمؤلف

بيـروت أضنـانـي انقـلابـك حفـرة ... للمـــاء والأوســـاخ والإجـــرام
عبث الظلام بصبح شمسك حاقداً ... فكتبـت شعـري فـي ضيـا الاحـلام
خلفـت فيـك قصـائـدي مطمـورة ... فــي النـــار والأوحـــال والأكـــوام
مَنْ ذا يلملم ما ذرفت من الأسى ... فـــي دفتـــر الأشعـــار والإلهـــام
لا شيء يجدي. قد تصدع خاطري ... وشـربـت طعـم المـوت مـن آلامـي
بيـروت، إنـي فـي الظـلام مُقيـدٌ ... فـي داخلـي خـوف سـرى بعظـامي
أخشـى خيـالاً هـمَّ أن يغتـالنـي ... إنـي لأرقـب صـرختـي وحمـامـي
نصبوا المشانق في الدروب وهالني ... أنْ يــذبــح الإنســان كــالأغنــام
وتسلقـوا الشـرفـات فـي سرقـاتهـم ... يــرمــون قتــلاهــم كــأي حطــام
والآمـر المصنـوع يشـرب دمعتـي ... ودمــاء مَــنْ صفــوا بــلا أحكــام
من أجل مَنْ بيروت دمرك الأذى ... مــن أجـل مــن بـاعـوك لـلآثـام؟
النار في كبدي. وجرحك في فمي ... قــد أشعلــوك فكــل لــون دامــي
هـا أنـتِ يـا بيـروت مقبـرة الهنـا ... عبثـــت بقـــدســـك ثـــورة الأزلام
قسمـوك عمـداً كـي يطـول قتـالهـم ... يــا ذلَّ شعــب بيــع فــي الأرحــام
يـا ثـورة الـلاشـيء أسكـرك الغنـى ... فغـــدرت بـــالإنجيـــل والإســـلام
لــم تـأكلـي قلـب العـدو وإنمـا ... هـــادنـــت أعـــداء بضعـــف حمـــام

من ديوان المؤلف «أزهار كانون»

١٩٧٨م

بيروت

بيـروت يـا مهـد الطفـولـة ... يـا درّة الشـرق الجميلـة
سفحتـك رجّـات المـدافـع ... والحـرائـق يـا نبيلـة
نهـواك حتـى فـي الحـرائـق ... والعـذابـات الثقيلـة
نهـواك حتـى فـي الـدمـار ... وفـي المصـابيـح الضئيلـة
ضـربتـك أيـدي المجـرمين ... وروّعتـك يـدٌ عميلـة
يـا حلـم أيـام الشبـاب ... وحلـم أيـام الطفـولـة

. . . .

صـبٌّ هـواك ومـا درى ... أن المحبـة مستحيلـة
في شرقنا المغمور بالألغام ... والعقـد الطـويلـة
الهـارب الفلتـان مـن نظـم ... الحيـاة مـن الخميلـة
عقـلٌ تـولاه الضيـاع ... ومهجـة سكـرى عليلـة
وأصـابـع للبغـي ثـارت ... زينـت شـرك الـرذيلـة
كـل هـذا فـي المـدينـة ... صـار عنـوان الفضيلـة

من ديوان المؤلف «سنابل الستين»

١٩٨٨م

بيروت

بيـروت يـا بيـروت كنـا نهتـدي ... بسناك في اليوم العصيب العاني
شدناك من وحي المعارف نهضة ... ومنـارة للهـدي والإيمـان
فـي كـل حـي فيـك قـام معلـم ... في همس موج البحر كنت أغاني
أعمـال فخـر الـديـن تشهـد أنـه ... خلـف التنـوخيين بـالعمـران
وبنـو تنـوخ زينـوا عمـرانهـم ... بـالـرفـق والإينـاس والإحسـان

يـا فخـرك المـدفـون بعـد ممـاتهـم ضـاعـت هـويـة عـزك الـريـان
إنـا نـزيـل اليـوم مجـد جـدودنـا لنبيـن مجـد معـالـم الـرومـان
يـا ربِ أنقـذنـا وصـفِّ عقـولنـا كيـلا تهـون خسـارة الأوطـان
الحـب فيـك سمـا فكـانـت شـرعـة للـديـن والأخـلاق والإنسـان
الحـب زانـك منـذ حـط رحـالـه جـدٌّ لنـا فخطـرت بـالتيجـان
زُلـزلـتِ مـرات فصفـق نـاعـق لكـن سحـرك طـاف فـي الطـوفـان
كنـا زوايـا فـي كنـائـس رحمـة إنـا نـديـن بـوحـدة الـديـان
جئنـا فبشـرت التـلال سهـولهـا أنْ زال عهـد الظلـم والطغيـان
وكسـوتنـا بـالحـب. أزهـر حبنـا فـي طـول مـدّ الشـط والكثبـان
حـزنـي شـديـد يـا رفيقـة جهـدنـا ألا تعـودي زينـة البلـدان

من ديوان المؤلف «أزهار كانون»

١٩٩٥م

الزلازل التي ضربت بيروت

ـ الزلزال الأول: سنة ٣٩٥م أيام حكم الامبراطور كونستانس.
ـ هزتان: سنة ٤٢٩م وسنة ٥٠٢م.
ـ زلزال: سنة ٥٢٩م.
ـ زلزال: سنة ٥٤٣م.
ـ زلزال: سنة ٥٥١م وكان الأعنف.
ـ زلزال: سنة ٥٥٤م.
ـ حريق هائل: سنة ٥٦٠م.

وأعنف ما وجهته بيروت من الكوارث المدمرة، زلزال سنة ٥٥١م وحريق سنة ٥٦٠م.

أبواب سور بيروت

١ ـ باب يعقوب
٢ ـ باب الدركاه
٣ ـ باب أبي النصر
٤ ـ باب السرايا
٥ ـ باب الدباغة
٦ ـ باب إدريس
٧ ـ باب السنطية
٨ ـ باب السلسلة

كانت بيروت داخل سور ضخم علوه خمسة أمتار. تهدم وأعيد بناؤه مرات عديدة.

أسواق بيروت القديمة

١ ـ سوق الدباغة ٢ ـ سوق التجار ٣ ـ سوق القزاز ٤ ـ سوق الجميل
٥ ـ سوق القطن ٦ ـ سوق البياطرة ٧ ـ سوق إياس ٨ ـ سوق المسامير
٩ ـ سوق الحدادين ١٠ ـ سوق الطويلة ١١ ـ سوق سيور ١٢ ـ سوق الفرنج
١٣ ـ سوق الفشخة ١٤ ـ سوق الدلالين ١٥ ـ سوق الصرامي ١٦ ـ سوق الخياطين
١٧ ـ سوق المنجدين ١٨ ـ سوق سرسق ١٩ ـ سوق النجارين ٢٠ ـ سوق العطارين
٢١ ـ سوق الباذركان ٢٢ ـ سوق القطايف ٢٣ ـ سوق الرصيف ٢٤ ـ سوق الخبز
٢٥ ـ سوق الخضرة ٢٦ ـ سوق الخراطين ٢٧ ـ سوق الجوهرية ٢٨ ـ سوق اللحامين
٢٩ ـ سوق النراجيل ٣٠ ـ سوق أبي النصر ٣١ ـ سوق الأرض ٣٢ ـ سوق النحاسين

كانت هذه الأسواق متلاصقة في مجملها. وبقي أكثرها مزدهراً حتى عهد الاستقلال. ولم تختف إلا في الأحداث الاخيرة في بيروت.

والأسواق التي كانت تحمل أسماء عائلات فكانت لبيع الأقمشة كسوق الطويلة وسوق سرسق وسوق أياس وغيرها، ولم تكن جميعها متلاصقة.

خانات بيروت

الخان هو ما نسميه اليوم الفندق. وكان يستقبل فيه ـ لا سيما على طريق المواصلات في الجبل ـ الزبون ودابته التي يقدم إليها العلف إبان الاستراحة، وييسر لصاحبها مكاناً للنوم. كخان الشيخ على طريق بيروت دمشق لصاحبه

أحد مشايخ آل ابو مصلح من عاليه. «نقلاً عن الشيخ سلمان ابو مصلح من عين كسور والشيخ ابو يوسف أمين الفقيه من عاليه والست املي ابو مصلح من عاليه والشيخ محمد ابو شاهين رافع من الفساقين».

وفي بداية القرن العشرين. ومع نمو التجارة في مرفأ بيروت، واختراع السيارات، بدأت تنتشر الفنادق الكبيرة والصغيرة. لا سيما في عهد الانتداب الفرنسي وعهد الاستقلال. ولا مجال لذكر أسمائها في مدينة بيروت لأنها حديثة العهد ومعروفة لدى الناس.

١ ـ خان شيخ المكارية
٢ ـ خان السيد
٣ ـ خان البربير
٤ ـ خان انطون بك
٥ ـ خان حمزة
٦ ـ خان الشونة
٧ ـ خان فخري بك
٨ ـ خان ثابت
٩ ـ خان الأروام
١٠ ـ خان سوق الطويلة
١١ ـ خان الحلاج
١٢ ـ خان الحرير
١٣ ـ خان التوتة
١٤ ـ خان سعيد آغا
١٥ ـ خان الصغير
١٦ ـ خان الموسيقى
١٧ ـ خان النورية
١٨ ـ خان البيض

القلعة والأبراج

كانت تقوم على شاطىء بيروت قلعة ضخمة لحماية المدينة واستكشاف البحر. وقد زالت القلعة سنة ١٨٧٤م.

وكانت تساندها أبراج عدة بنيت في أماكن مختلفة تشرف على جميع الأماكن البعيدة براً وبحراً. وقد بنى الأمير فخر الدين المعني الكبير برجاً في بيروت كما مرّ معنا، عرف ببرج الكشاف. وساحة البرج منسوبة اليه.

وقد بنى التنوخيون قصوراً مرتفعة على شاطىء البحر ليشرفوا بأنفسهم

على سفن القراصنة والصليبيين أو أي عدو يغزو من البحر.

١ ـ برج الحشاش: زال سنة ١٨٧٤م

٢ ـ برج الفنار: سمي كذلك لفنار كان يعلوه. هدم سنة ١٨٩٠م

٣ ـ البرج الصغير: بناه تنكزخان نائب دمشق.

٤ ـ البرج الكبير: أقامه السلطان الظاهر برقوق. هدم سنة ١٨٧٤م. ويقع مكان السراي الصغيرة التي بنيت سنة ١٨٨٤م وهدمت سنة ١٩٥٠م

٥ ـ البرج الكشاف: بناه الامير فخر الدين المعني الكبير. وكان أعلى الأبراج. هدمه الاسطول الانكليزي سنة ١٨٤٠م. وهو مكان سينما متروبول اليوم.

٦ ـ برج الأمير جمال الدين: بناه الامير فخر الدين المعني.

٧ ـ برج الامير دندن: بني أيام الامير فخر الدين المعني. أزيل سنة ١٨٣١م

٨ ـ برج الحديد

٩ ـ برج القشلة

١٠ ـ برج ابي حيدر

١١ ـ برج الغلغول

١٢ ـ برج العريس

١٣ ـ برج الحصن

١٤ ـ برج بيهم

١٥ ـ برج شعبان في عين المريسة

١٦ ـ برج البواب

١٧ ـ برج شاتيلا

١٨ ـ برج سيور. هدم سنة ١٨٥٣م

أما سور بيروت المبالغة سماكته خمسة أمتار فقد هدمه الأسطول الانكليزي سنة ١٨٤٠.

تواريخ هامة عن بيروت

٢٠٠م: أسس معهد الحقوق الروماني في بيروت.

٦٣٤م: افتتح العرب بيروت في خلافة عمر بن الخطاب.

٧٧٤م: توفي في ضاحية بيروت الفقيه الاوزاعي.

١٦٢٠م: بنى الأمير منذر التنوخي مسجده في بيروت.

١٧٧٢م: قصف الاسطول الروسي بيروت.

١٨٣١م: سقطت بيروت تحت حكم ابراهيم باشا المصري.

١٨٣٤م: انشيء المحجر الصحي زمن ابراهيم باشا المصري.

١٨٤٠م: قصفت البوارج الانكليزية قوات ابراهيم باشا في بيروت.

١٨٤٠م: أنشئت المنارة في رأس بيروت.

١٨٤٢م: سجن عمر باشا النمساوي في بيروت مشايخ الدروز وهم: نعمان وسعيد جنبلاط، أحمد وأمين أرسلان، ناصيف بونكد، حسين تلحوق، داود عبد الملك.

١٨٤٢م: أعلن مصطفى باشا سقوط الشهابيين أي الامارة المسيحية. وعين عمر باشا حاكماً على الجبل.

١٨٤٥م: استسلم الشهابيون في معركة عبيه أمام الدروز. فتسلمهم الكولونيل روز الانكليزي ونقلهم الى بيروت.

١٨٦٠م: تأسست في زقاق البلاط في بيروت مدرسة العميان الانكليزية.

١٨٦٢م: أنشئت أول مدرسة للمسلمين السنة في بيروت وكان اسمها «المدرسة الرشيدية».

١٨٦٣م: بني في بيروت دير الكبوشيين.

١٨٦٣م: شقت طريق بيروت دمشق. وكانت العربات «ديليجنس» تقطعها

بثلاث عشرة ساعة (١٣ ساعة).
١٨٦١م: بنيت السراي الكبيرة في بيروت وما زالت قائمة.
١٨٦٢م: أنشئت المدرسة الالمانية. وكانت علاوة على التعليم تؤوي أيتام وضحايا فتنة ١٨٦٠م.
١٨٦٧م: تأسست بلدية بيروت.
١٨٧٥م: أنشئت في بيروت مدرسة الحكمة.
١٨٧٥م: تأسست في بيروت الكلية اليسوعية.
١٨٧٥م: مدت مياه الشرب الى بيروت من نهر الكلب.
١٨٨٤م: بنيت السراي الصغيرة في بيروت وهدمت سنة ١٩٥٠م
١٨٧٨م: تأسست في بيروت جمعية المقاصد الاسلامية.
١٨٨٨م: أنشئت ولاية بيروت وفصلت عن ولاية دمشق.
١٨٨٨م: بنيت كاتدرائية مار جرجس في بيروت.
١٨٩٥م: تم افتتاح سكة حديد بيروت دمشق في ٣ آب، وكان القطار التجاري يقطع المسافة بتسع ساعات «٩ ساعات».
١٨٩٦م: بدأ البريد بين بيروت ودمشق.
١٨٩٧م: بني في بيروت برج الساعة.
١٨٩٨م: تم تسيير الترامواي الكهربائي في بيروت.
١٩٠٠م: تم بناء سبيل الحميدية في ساحة السور.
١٩٠٠م: افتتحت مخازن اوروزدي بك في شهر ايلول.
١٩٠٦م: تم بناء البنك العثماني.
١٩٠٧م: أنشئت مدرسة الصنائع. وفي وسطها حديقة الصنائع وبركة ماء.
١٩٠٨م: أدخلت الكهرباء الى بيروت.
١٩١٢م: قصفت السفن الايطالية بيروت.
١٩١٣م: استقبلت بيروت اول طائرة وكانت فرنسية في ٢٥ كانون الاول.
١٩١٦م: علق جمال باشا المشانق في بيروت.

١٩١٩م: دخل الجنرال الفرنسي غورو بيروت فاتحاً.
١٩١٩م: اتخذ المندوب الفرنسي جورج بيكو مقراً له في بيروت قصر علي جنبلاط.
١٩١٨م: ألغيت ولاية بيروت.
١٩١٨م: أعلن عمر الداعوق قيام دولة عربية في بيروت، وأمر برفع الاعلام الشريفية.
١٩٢٠م: غمرت الثلوج بيروت وبلغت سماكتها عشرين سنتيمتراً.
١٩٢٠م: تأسست بورصة في بيروت.
١٩٢٦م: شكلت أول حكومة لبنانية في بيروت برئاسة أوغست باشا أديب.
١٩٢٨م: افتتح مسرح «التياترو الكبير» في بيروت.
١٩٣٤م: تم بناء المجلس النيابي في المعرض.
١٩٤٦م: توقفت عربات الخيل وحلت مكانها السيارات في بيروت.
١٩٤٢م: انشيء خط سكة حديد من الناقورة حتى طرابلس ماراً ببيروت.
١٩٣٧م: استقبل الأمير شكيب ارسلان في مرفأ بيروت، جاءت الوفود من سورية ولبنان وفلسطين.
١٩٤٦م: صلي على جثمان الامير شكيب ارسلان في الجامع العمري الكبير في بيروت قبل نقله الى مسقط رأسه الشويفات حيث صلى عليه الدروز.
١٩٨٢م: جرى الاجتياح الاسرائيلي لبيروت في ١٥ ايلول.
١٩٨٢م: مجازر صبرا وشاتيلا في ١٨ ايلول.
١٩٨٢م: اغتيل في بيروت رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشير الجميل.
١٩٨٢م: بدأ الانسحاب الفلسطيني من بيروت على دفعات ودام حتى ١ ايلول. وكان قد بدأ في ٢١ آب.
١٩٨٢م: في ٣١ آب جرت معركة جوية فوق بيروت وجبالها بين الطائرات الاسرائيلية والسورية.

إضافة

سنضيف إلى هذا الكتاب وصف للأجاويد وهم مشايخ الدين عند الدروز، للتعرف من خلالهم الى المفهوم الروحي لدى هذه الطائفة اتي افترى عليها اخوانها وأقرب الناس إليها في الدين، وهم بعض المسلمين الجاهلين بما أصدروا بحقهم من فتاوى لا تنصفهم ولا تصور حقيقتهم.

وأعتبر أن خير رد عليهم هو إعطاء صورة واضحة عن الأجاويد الذين يؤمنون بالرسول (ص) وبجميع الأنبياء والرسل والحكماء الذين سعوا الى رفعة الإنسان وتقواه ومحبته. وهم من الاسلام ولو حاول إبعادهم بعض المسلمين الذين لم يتبينوا حكمة التوحيد.

حب الأجاويد

الحب الحقيقي هو التوحيد. أي انعدام الثنائية والانصهار في الذات الجوهرية.

وهو الأحدية. أيْ أن يصبح الحب هو نفسه المحبوب.

والحب هو السعادة والسلام. ولا يكون إلا بالمعرفة القائمة على العقل النوراني الذي يصفي العواطف ويطهرها، فتحدث هذا الانسجام الرائع في كينونة الحياة.

والحب لا يكون في الصورة الظاهرة. بل في أعماق النفس الباطنة. ومتى اتخذ الظاهر مأرباً انعدم وتلاشى فصار حِسّاً.

لذلك يكون حب الجويِّد في الروح لا في الجسد. وقد يبلغ حبه رفعة تتلاشى فيها الشهوة وتموت نهائياً. وهذا ما يعرف عند الأجاويد الذين بلغوا هذه المرتبة «بزيجة النظر».

والحب لا يكون فقط بين المرأة والرجل. فهو فكرة كل ما يؤول الى التوحيد.

فالتوحيد إذاً هو الحب. أي ذاك النور في العقل. وذاك العفاف في الشعور اللذين يقودان الى الحقيقة وبهجة المعرفة.

وما دام هذا هو مفهوم الحب لدى الأجاويد. فهو مصدر كل حلال عندهم.

أما ما نراه في تعلق الرجل بالمرأة، والسعي الى امتلاكها وإطفاء شهوته فيها. وما نشهده في نية بعض الناس الى أنواع من الشعور والتقارب واللهفة

لغرض ما، فليس له أية علاقة بالحب. إنه أنانية خطرة يطرحها الحب. ولا تظهر لمن لا يتحلون بالصفاء والطهارة والمعرفة.

والحب عند الأجاويد هو المحبة. فهم لا يعرفون البغضاء. ولا الرذيلة ولا الكره ولا الحقد. إنهم يحبون جميع الناس. ولا يكرهون حتى الذين لم يمنحوا نعمة المعرفة، فيتحول حبهم الى الدعوة الصادقة كي ييسر الله لهؤلاء الأشخاص سبيل العرفان والصدق والادراك.

ما كان الكره يوماً طريق خلاص. ولا كان الحقد باباً لصلاح. ولا كانت البغضاء سبيل الصفاء.

فالحب هو الحب. ولا يمكن أن يعطى صفة أخرى.

إنه نور يضيء كل ظلام. ليظهر الضلال أمام جميع الناس.

بالحب نقتل الشر، وبه نقضي على جميع أنواع الرذائل.

والحب هو الوعي. وعي الإنسان لذاته ولوظيفته في الحياة. لذلك نرى الأجاويد يحبون كل ما في الكون لأنه من خلق الله.

وهم بحبهم لا يسيؤون الى أنفسهم ولا الى الآخرين. لا يظلمون ولا يعتدون حتى على الزهرة أو الشجرة أو أي حيوان او طير.

وأكثر ما يزعجهم. هذه الحضارة المزيفة التي قتلت الحب في السعي وراء المادة، وفي التسابق الجاهل الى الاستثمار السريع لباطن الأرض وسطحها. وإلى جعل الانسان آلة تعمل لا للشبع بل للتخمة. لا تعي ولا تعقل. ولا تتحرك لمصلحة الحياة ومصلحة الكون.

لذلك نرى الأجاويد يتعاملون مع الطبيعة معاملة المحب. فيهربون من مساوىء التمدن الأرعن الذي لا يقيم وزناً لحرمة ما خلق الله على الأرض وفي بطنها. ويحيون الحب في الزراعة وتربية الحيوان. وفي احترام نواميس الطبيعة وقوانينها.

لا يقبلون أن يأخذوا من الطبيعة أكثر من حاجتهم الى العيش. فخير الطبيعة يجب أن يبقى فيها لتتم دورة الحياة. وينال كل مخلوق حصته المشروعة من هذه الخيرات.

آمال الأجاويد

إن من غلبت عليه نزعته الدنيوية، اقتصرت آماله على الطعام والشراب واللباس والجاه والمال، في جشع لا يرحم. وفي أنانية لا تلين. وفي تسابق بأبشع الطرق لا يورث إلا القلق واضطراب النفس، والجوع رغم التخمة، والعطش رغم الارتواء.

فالآمال هي الصورة لنزعات الإنسان تعيش في شعوره وفكره. وهي في الأفكار والمشاعر الدنيوية نفايات هذه الافكار وهذه المشاعر. لأنها تتغذى بالجهل والجهالة. وتنمو وتتعاظم في تخمر الحرام. لا حلال فيها ولا نعمة. لا خلق فيها ولا مصلحة شريفة.

هي امتداد صارخ للأنانية في مظاهر متشعبة ومنوعة، نتيجتها وبال على المجتمع. وفساد في الحياة. وتقهقر في سلم الذات.

هذه الآمال مبرد ناعم يأكل على مهل نفوس أصحابها. يظنونه عافية ولذة. وهو المهشم المفسد القاتل.

لا يأمل الذين يحبون المال غير السعي الى زيادته.

ولا الذين يهوون الشراب إلا المزيد من السكر.

ولا الذين تجذبهم الشهوات إلا التمادي في ملذاتها.

ولا الذين يغريهم الجاه إلا العمل بالجشع على تحقيقه على حساب المساكين الضعفاء والمحتاجين وأصحاب العاهات.

وهذا ما يجعلنا لا نثق بوعود هذه الجماعة مهما بلغت من حسن الديباجة. ورقة التعبير والدقة في التصوير، نسمعها ثم سرعان ما نطرحها من

ذهننا. لأنها كاذبة في مضمونها ومحتواها.

آمال هذه الجماعة ليس فيها نور الحق ولا الحقيقة. تخرج من ظلمة النفس الى ظلام أشد سواداً. وليس فيها وعي الوجود أو وعي الذات أو وعي الضمير.

هذه الآمال ترتع في مساحات محدودة لا تتعداها. لأن النور يكشفها. وتدور في حلقات قد تتسع وقد تضيق. لكنها ترتطم دائماً بحدود الحقيقة الأزلية الحامية المثل والفضائل والقيم في عالم النفس الكلية.

والآمال قد تظهر في الكلام. وقد تختفي في الصدور فتنمو في الخفاء. ويعمل لها صاحبها بكل ما أوتي من قدرة، وما استنبط من أساليب. وما جمع من حنكة.

لكن آمال الناس مهما حاولوا سترها، تبرز من خلال المسالك والتصرف والعيش، ما دامت بنات الفكر والشعور.

وآمال الناس هي في الحقيقة أحلامهم وكثيراً ما تصبح هواجسهم التي تنغص عيشهم. وتبدد راحتهم. وتقض مضاجعهم.

وكلما ارتفعت الآمال في مفهومها وارتقت في وعيها وسمت بمعرفتها، وعملت بعرفانها وشوقها، أضفت على أصحابها الرضى والطمأنينة وراحة البال، بحيث تتحد الآمال بالطهارة والصفاء والمعرفة.

ولا شيء يمنح السعادة كالآمال النقية، الواعية، المدركة. العارفة السمحاء، التي تتعدى حدود المحبة والإخاء والتسامح للاتحاد بالجوهر الخلقي، عن طريق العقل النوراني الباعث كل خير وكل جمال.

والأجاويد آمالهم في أن يدركوا الحق ببساطة التقى، وبهجة الانشغاف، وفرح الشوق، وصبابة العرفان.

لا أمل لهم يفوق أن يرضوا مولاهم بالطاعة والرضى والتسليم، والحب

الكبير البعيد عن الاهتمام بمتاع الدنيا، والانصراف بالكلية الى العبادة والعمل الشريف النظيف.

ينامون في طمأنينة، ويفيقون في راحة، ما داموا لا يأملون بظلم. ولا بغش ولا بجشع ولا برذيلة.

إنهم لا يكنزون المال لأن المال يفسد النفوس. ولا يركضون خلف الجاه لأن الجاه مدعاة الى الزهو والعنفوان والتعالي.

آمالهم في أن يحققوا رضى نفوسهم التائقة الى الحلال. والطريق إليه، التقشف في الطعام واللباس. والصدق والمحبة. ومناجاة الخالق من خلال الأنوار الشعشعانية المتمثلة أمام عقولهم ونفوسهم.

كل ما على الأرض فانٍ. ولا يبقى سوى وجه الرحمن.

فلمَ إقلاق الفكر بما لا يدوم؟ وحرق النفس بما هو زائل؟

آمالهم روحانية لا جسمانية. فهي لا تقلق أفكارهم. ولا تسيء الى شعورهم. إنهم يسعون اليها بالسلام والصفاء والوداعة والطهارة. وجميعها تريح القلب وتهذب الحس وتنقي الجسد من كل خلل الأعضاء أو الاعصاب أو الخلايا.

إنهم بارعون في تقواهم. وآمالهم بارعة في شوقها الى الله.

أعمال الأجاويد

العمل شرط لصحة البدن وصحة النفس.

والبطالة آفة تؤثر في النفس والقلب والجوارح والجسد. فمن أوتي نعمة المعرفة، انصرف الى العمل ليكسب طعاماً حلالاً يرضى عنه الله.

والعمل كنز الإنسان في دنياه وذخره في الآخرة. إذ لا يمكن لمؤمن أن يبلغ مرضاة الله من غير العمل.

فالبطالة إذن كفر.

وقد أبدع الله المخلوقات جميعها لكي تعمل وتكسب قوتها. وخلق الانسان ليكون العمل أيضاً سبب عيشه، وطريقه الى العرفان والشوق والاعتراف بالمنة.

فالعقل إذا توقف عن العمل، عفن الفكر ووهن الذهن. وأصاب صاحبه الخبل فغاب عنه نور الخالق.

والنفس التي لا تعمل تفقد علاقتها بالعقل فتنجرف الى الفساد.

والعقل نور النفس، فإذا بطل عمله انطفأت أمام النفس الحقائق.

العمل إذاً مادي ومعنوي.

المادي يقوم على حركة الأعضاء.

والمعنوي يقوم على العقل والنفس.

والعمل صورة النفس يسمو بسموها، وينخفض بانخفاضها.

فاللص يعمل في السرقة.

والمرابي يعمل في امتصاص دماء المحتاجين.

كما أن الكريم لا يعمل إلا بشرف.

والمؤمن لا يعمل إلا بوحي إيمانه.

الأبي لا يخون. والخائن لا يفي.

والأجاويد يقومون بالعمل على نوعيه، فيتعاطون الزراعة لأنها تقوي أجسادهم وتكسبهم الصحة. وتساعد على سلامة انسجام أعضاء الجسم واتحاد عملها.

كما أنهم يدركون قيمة العمل وارتباطه بالنفس، فيعملون على تنقية عقولهم وتطهير نفوسهم. صارفين تفكيرهم الى الخير والسعي الى الطمأنينة من خلال الخير في دواخلهم.

والعمل عندهم، قيمته في نظافته وفي علو مأربه. لذلك يعملون في الأرض، لأنها تعطيهم غلة صادقة مشروعة. وتمنحهم خشونة الجسد ولطافة النفس وتهذيب الخلق. والفهم العميق للحياة، من خلال الشجرة والنبتة وقطرة الماء، وحبات التراب التي هي مصدر الغذاء.

وهم يراعون في عملهم الأمانة والدقة وحسن النية. فما كان منه مأجوراً نبذوه. لأن جزاء العمل الرضى عنه واحترامه.

لذلك يصلون على الميت رافضين أن يقبضوا عن الصلاة مالاً أو أي أجر. ويقومون بأعمالهم الدينية مهما كان نوعها دون مقابل.

فأجر الإنسان سلامة نيته في العمل. وقيامه بالواجب الانساني. واستشراق صورة الله في كل حركة.

هؤلاء الأجاويد التقاة يأكلون الخبز الذي يصنعونه بأيديهم ويقتاتون من المزروعات التي يزرعونها بأنفسهم. ويشربون حليب المواشي التي يربونها.

ولا يأكلون عسلاً إلا إذا كان من قفرانهم، إمعاناً في دقة الحلال. وخوفاً من أن يكون العسل مغشوشاً خالياً من حلال النعمة.

وإذا بلغ جويد سناً تقعده عن العمل الجسدي المنهك. انصرف الى النسخ ليكسب أجر نشر المعرفة وقوت يومه الحلال.

يؤمن الجويد أن كسب خبزه بعمل كفيه أمر حتمي لصفائه وتوحيده. فالله خلق أعضاء الجسم لكي تعمل لمصلحة الإنسان من الناحيتين الجسدية والنفسية.

وإذا اضطر جويد أن يعمل لقاء أجر. فهو لا يعمل إلا عند جويد مثله. رافضاً أن يقبض قدراً يفوق قيمة تعبه.

فإن لم يتسم عمل الانسان بالصدق والأمانة وصفاء النية، بطل حلاله. أما القراءة الروحية فهي عمل ضروري لانفتاح العقل، وروعة التأمل، والتوجه الى الله عن طريق نوره ومبدعاته.

لذلك لا ينام جويد ليلة واحدة دون قراءة الكتاب المقدس الذي بين يديه، والمؤمن به والمتعمق في معانيه. فهي ترويض للفكر. وتطهير للجوارح. ولطافة للمشاعر.

ولا قيمة لأي عمل إن لم يسر بهدي الله وتنزيهه. وليس هناك سبيل الى المعرفة، بغير العمل الروحي والفكري، بعد العمل الجسدي الشريف الضروري لحفظ العيش.

الصلاة على الميت
عند الأجاويد الدروز
النص الكامل

لا إله إلا الله.

يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

إن الله وملائكته يصلون على النبي.

يا أيها الذين آمنوا صلوا وسلموا تسليماً. اللهم صلِّ وسلم على أشرف الأمم. وسيد العرب والعجم. وإمام مكة وزمزم والمدينة والحرم. سيد الأنام ومصباح الظلام وخاتم الأنبياء والرسل الكرام نبينا محمد.

اللهم زده كرماً وشرفاً ومهابة وإجلالاً وتعظيماً. ورضي الله تبارك وتعالى عن ساداتنا أصحاب رسول الله أجمعين.

رحم الله من نظر فاعتبر. وأُمر فأتمر، وزُجر فازدجر. ومثل هذا الحق المبين انتظر. انتظروا واعتبروا يا أولي الألباب. الحكم لله الواحد الوهاب.

معكم جنازة رجل مسلم من أهل التوحيد والإيمان والحقيقة والبرهان. مندرج بالوفاة الى رحمة الملك الديان. تغمده الله بالرحمة والرضوان. وأسكنه فسيح الجنان. رحمه الله.

الصلاة على الجنازة الحاضرة. أثابكم الله سبحان الحي الدائم الذي لا يموت.



سلام الأجاويد

السلام في الأصل رجاء أن يحل الفرح النفسي في الإنسان الذي نسلم عليه، ودعاء كي يمنحه الله العافية والصحة العقلية.

وهو دعوة في مفهومها العميق الى أن تمتلىء حياة من نسلم عليه بالبركة والخير. أما السلام في لمس الأكف فيعطي قوة خفية للمسلم والمسلم عليه. ففي هذا اللمس نوع من الانجذاب الروحي، قد يخفى على بعضنا ممن لم يبلغ قدرة الاستكشاف. ولكن تأثيره قوي جداً وإن لم نلحظ آثاره الظاهرية أو الخفية.

وهذا الاقتراب الحسي في اللمس يمنح الشخصين شعوراً بالحب والوحدة والوداعة والانجذاب. وما الانسان في الأصل إلا ظاهر وباطن.

ويسلم الجويد على أخيه الجويد بأن يرفع كل منهما يد الآخر الى فمه ويقبلها. وهما في الحقيقة يقبلان نعمة الله المتجلية في هذه اليد.

والشفتان هما أكثر انجذاباً. وأعمق في نقل الشعور. وأوفر زخماً في المودة، تحملان من عرفان البصيرة صوراً الى الحس بسرعة مذهلة.

واليد هي آلة اللمس وقضاء بعض الحاجات. فيجب أن نبقيها سليمة من الدنس. ناصعة في حركتها. أمينة في امتدادها. لا تطول فتتعدى مطاليبها المشروعة. ولا تقصر فلا تؤدي ضرورتها.

لذلك يرى الجويد أن أخاه الجويد نظيف اليد طاهرها، تحمل في باطنها مشاعر المحبة والأمانة لرسالة التوحيد. فتقبيلها هو تقبيل ما تخفيه من البركة

والخير والإيمان والحب والتقرب والشوق وما الى ذلك من معاني ارتباط الظاهر بالباطن.

وسلام الأجاويد خال من الثرثرة، والأسئلة المتلاحقة عن الحال والأوضاع والصحة، والتمنيات المتكررة يطلقها اللسان في روتينية معهودة عند بعض الناس.

إنهم يكتفون بتمتمة بعض التمنيات التي يدركون مغزاها وقيمتها وتأثيرها في أعماق نفوسهم. ويكون السلام أيضاً من القلب الى القلب. وهو أبلغ أنواع السلام. لا يستعمل اللسان ولا اليد ولا العيون. بل ذاك الإشعاع النوراني المضيء أعماق النفس.

وهذا السلام يعرفه الجويد في حبه لباريه. وفي شوقه الى الموحدين الأولياء الذين يقرأ عنهم في كتب الحكمة، وفي سير الاتقياء والحكماء.

وإذا اهتدى السلام بضياء العقل والنفس، طار الى الحبيب بجناح النور، فبلغ المرتجى في المسلم والمسلم عليه.

وهذا ما يجعل الفرق شاسعاً بين التحية والسلام. فالموحد يلقي على الناس السلام.

طعام الأجاويد

في الطعام تأثير على الطباع والأمزجة والفكر والميل والشهوة. فبقدر ما يكون الطعام سليماً، مغذياً، مهذباً ومعتدلاً، ينعكس ذلك على لطافة النفس والحس والشعور.

لذلك يمتنع الأجاويد عن تناول بعض المأكولات كالملوخية ولحم الخنزير.

وهم لا يأكلون من طعام لص أو مجرم أو شرير أو كافر. أو أي إنسان لا يعرف بنظافة يده وقلبه ونفسه ولسانه، لأنه ليس في طعامه حلال النعمة والاعتراف بمنة الله وطهارة السلوك.

ومن فسدت نفسه فسد مأكله ومشربه.

واليد في الطعام نفَسُه أو كثيفه. ويحرم طعام شخص لا يوثق بأمانة يده وطهارتها. وما دام في الكثيف لطيف ينتج عنه، فلا يجوز تناول المأكول الذي ساء كثيفه.

كثيف الأطعمة النظيفة يتحول لطافة في النفس.

وطعام الأجاويد هو ما يستغلونه من الأرض التي يزرعونها ويعاملونها. أو ما يصنعونه بأيديهم، كأجاويد خلوة البياضة والخلوات الاخرى المتعددة في مواطن الدروز.

وهم يأكلون العسل واللوز والجوز والزبيب وخبز الحنطة، والتين المجفف والدبس والخضار، واللبن ومشتقاته «راجع كتاب واقع الدروز وتاريخ دير القمر: للمؤلف».

وقد يأنس الجويد بالجوع لأنه ينبوع الحكمة، فهو يلطف النفس. ويجعل فيها شفافية لتقبل نور الحقائق الروحانية. أما الشبع فيقود الى النهم وهو معصية. وطالب الشبع لا يشبع. وطالب الشبع يفقد لطافته ويبقى في كثيفه، بعيداً عن نور العقل، والسعي الى المعرفة والعلم والمجاهدة في طلب وصال الحبيب.

ويتساوى عند الجويد الجوع والشبع. فهو شبعان من غير كثيف الطعام، وجائع الى رضى الله ولقياه.

وقد مثل ذلك حق تمثيل الشيخ علي فارس من جولس «فلسطين» والست جندلة من عين كسور، وغيرهما كثر لا مجال لذكرهم جميعاً.

وإننا لا نقصد بالجوع الامتناع عن الطعام، بل القوت البسيط الذي لا بد منه للحفاظ على الحياة. أما الشبع فهو الإكثار من الطعام تأميناً لكثافة اللذة الحسية.

وهم لا يشربون إلا الماء الزلال الطاهر، المتفجر من الأرض مباشرة أي مياه الينابيع التي لم تدنسها الأنابيب والأدوية ومعامل التكرير، ويشعرون أنهم بذلك يقتربون من روح الطبيعة التي يؤمنون أنها تعطي من قلبها كل نافع ومفيد.

وحين تدخل يد الإنسان للعبث بها تلوثها وتفسدها وتزيل بركتها وحلالها.

وهم يؤمنون أن الطبيعة هي غذاء الجسد والروح. لذلك يعيشون في أحضانها، فيأكلون من خيراتها كما هي هذه الخيرات في أصلها.

وقد خلق الله كل شيء كاملاً يفي غرضه. وجعل الطبيعة مصدر العيش والحياة لجميع مخلوقاته. وهذا ما اكتشفه العلم الحديث العميق الواعي. فقامت صرخات للاهتمام بأنواع الطعام تجنباً للمرض وحفاظاً على سلامة الأخلاق والبدن، والعودة الى الطبيعة والامتناع عن أكل المعلبات

والمحفوظات الصناعية.

فالمرض هو في مخالفة قوانين الطبيعة. وجهل قيمة الغذاء والشراب، لذلك نرى الأجاويد يكرهون زيارة الأطباء فيختارون طعامهم من إنتاج الطبيعة دون أن يضاف اليه شيء من إنتاج المستحضرات.

فالطبيعة هي أمهر الأطباء حتى النفسيين منهم.



الشيخ أبو حسين محمود فرج

حديث الأجاويد

لم تجرف الأجاويد أحاديث المدنية المزيفة القائمة على عدم اختيار الكلمات المتزنة البريئة المحتشمة، العاقلة. إنهم ينتقون كلماتهم من مصادر الحكمة والحكماء.

الكلمة عندهم ترجمان العقل والنفس. هي الصورة الظاهرة للذات الداخلية. لذلك هم يحترمون الكلمة ويعتبرون أنها تكشف خفايا النفس البشرية. فالإنسان تعرف قيمته من حديثه. ومهما حاول التزييف والكذب، فإن في الكلمة إحساساً رهيفاً يستشف السامع من خلالها بواطن المشاعر والأحاسيس والنوايا والأغراض عند المتحدث.

حتى أن الأجاويد الأتقياء، لا يختارون كلماتهم اختياراً. بل هي تخرج من داخلهم بعفوية ناصعة، لأنها التعبير الظاهر عن تقاهم ورفعتهم وإيمانهم ومحبتهم ووداعتهم وعرفانهم.

والحديث هو وليد الفكر. فإذا تمرس الفكر بالخير، عمق الخير في الذهن. فكان الحديث مفعماً بالمحبة والألفة والطيبة والصلاح.

لذلك ترى الجويد لا يؤذي بكلامه أحداً، لأنه لا يفكر في الشر. وليس للشر باب الى ذهنه.

وما دام الحديث هو ترجمان الفكر والشعور. فالصدق هو وجهه الأول والأرفع والأقرب إلى الإيمان بالله. والصدق هو من أهم شيم الاجاويد.

أما اللسان فليس سوى آلة للنطق. ووسيلة لتبليغ الأفكار والمشاعر. وقد

يكون قناة خير. كما يمكن أن يكون قناة شر. لذلك نراهم يصونونه عن الموبقات. ويحافظون على الحشمة في الكلام. والدقة في الحديث. واللطف في التعبير. والوداعة في اللهجة.

والأجاويد يجيدون أدب الحديث. فهم يصغون أكثر مما يتكلمون. ويؤمنون أن الإصغاء شرط أساسي في أدب الاجتماع.

يسوقون إليك قولهم بوداعة تخترق شغاف القلب. أسلوبهم مقتضب لا يتعدى الدعوة الى الرضى والتسليم، وحسن العشرة، والمحبة، والإيمان. والتمسك بفضائل الأخلاق. وهم أساتذة وعظ بعد أن اتعظت نفوسهم وأدركت مسيرة الصلاح والإصلاح.

فإذا تطرق الحديث الى السياسة أطرقوا وصمتوا. وقالوا جملتهم المعتادة «الله يقدر الذي فيه الخير».

وإذا بلغ جويد مبلغاً رفيعاً في التقى، ندر كلامه وزاد إصغاؤه. فهو يجالسك في لطف مذهل. ومحبة عارمة. تقرأ في عينيه مناجاة تحملك الى البعيد في سفر تستشف من خلاله نوراً من تأملاته، بقدر ما تكون أنت عليه من العرفان.

وكثيراً ما دفعني الشوق إلى زيارة الاتقياء لأستمع إلى أحاديثهم، فإذا بي أقرأ في سكوتهم وسكونهم أروع آيات الكلام.

والحقيقة أن المحبة التوحيدية، إذا اقتربت من الذات الجوهرية بعرفانها، كان لها من الظاهرة الحسية الطاهرة ما يغني عن الكلام.

الصامتون العارفون هم في الحقيقة يصغون الى ذواتهم.

صحة الأجاويد

الأجاويد يتمتعون بصحة سليمة خالية من الأمراض. إنهم أشبه ما يكونون بشعب الهونزا الذي يعيش مع الطبيعة في وحدة وإخاء.

وهم واعون ثابتون. ويكرهون زيارة الأطباء. لا سيما معاينتهم للنساء إذا تعرضن لأي مرض. لذلك نراهم يحافظون على سلامة أبدانهم. فيقومون بالأعمال اليدوية. ينامون باكراً ويفيقون باكراً. لا يشربون الخمرة على أنواعها. لا يدخنون. ويقتصدون في علاقتهم الجنسية مع زوجاتهم. ولا يأكلون حتى التخمة. ويختارون المأكولات المغذية من إنتاجهم.

وهم يعيشون في طمأنينة، بعيدين عن القلق. لا يرهبهم موت. ولا تقعدهم عن الإيمان كارثة. يعزون ما يصيبهم الى إرادة الله فيريحهم الرضى والتسليم بما شاء الله لهم. وهذا كله يساعد على قوتهم الفكرية وقدرتهم الجسدية وصحتهم العامة.

والجويد إنسان يعيش في قناعة من دنياه. فلا يسعى وراء الترف. ولا تجذبه البهارج. ولا يركض وراء مظاهر الأبهة والجاه الأرضي، لأن تحقيقها يتطلب مشقة دون طائل أو فائدة. فتحقيقها زيف وخسران مبين.

إنه يرضى من دنياه بما يسد حاجته، حفاظاً على حياته وصحته فقط. وكل همه أن يملأ قلبه الشوق الى خالقه. ويصيب الغنى في مرضاة باريه.

والطمأنينة شرط أساسي للحفاظ على صحة البدن والنفس معاً. فهي لا توتر الأعصاب. ولا تنهك القلب. ولا تضعف الخلايا. لذلك نرى الأجاويد هادئي الطباع. ليني المعاشرة، لا يتأففون ولا تثور أعصابهم. ويقابلون العنف بالروية والتعقل.

والطمأنينة قناعة نفسية تتعدى المفهوم المادي الذي يشد بالإنسان الى طين الأنانية والاستغلال. ويخزن في نفسه القلق والاضطراب.

وهذه الطمأنينة لا تتحقق إلا بارتفاع الانسان عن نزواته وشهواته وأهوائه وغرائزه، والتعلق بنجوى الروح الذي يقوده عن طريق العقل الى فهم الطبيعة وارتباط الإنسان بها.

وما دام الانسان يؤمن أنه جزء من هذه الطبيعة، وأن عليه المحافظة على نواميسها وقوانينها وقواعدها، وان ارتباطه بالكون يحتم عليه التأمل الدائم ومناجاة الخالق، وتصفية النفس بالشوق والتوحيد، فهو لا بد أن يحظى بالطمأنينة التي تحقق له صحة البدن وعافية العقل والروية والاتزان والركون الى القناعة والرضى بما قسم الله.

الطبيعة لا تعرف ضرراً. وكل ما نظنه فيها شراً ليس شراً. وإنما هو مشيئة الله لحفظ الكون والطبيعة على السواء.

كل ما يصدر عن الطبيعة صحيح وخير. إنها تسير على نواميس وأصول لا ندرك مغزاها ولا نتوصل الى أسبابها ونتائجها. وإذا خالف الانسان هذه القوانين بعلاقته، أدّى ذلك الى خلل في جسمه ونفسه ومزاجه.

فاحترام الطبيعة شرط للصحة والعافية وهدوء الأعصاب. ولسلامة الحس والفكر والاخلاق. ولانفتاح الإنسان على الكون، ورغبته في كشف المعرفة الحقيقية إذ إن المعرفة لا تكون إلا بالإدراك العميق للحياة التي تشكل الطبيعة ركيزتها الأولى.

وبعد الإنسان عن الطبيعة وعن التعاطي معها، يقوده الى المرض الجسمي. وإلى الأعراض العصبية. وزرع الانقباض في النفس. والكسل في التفكير والإحساس، والسأم والضجر والخوف. وهذا كله يؤدي الى الخلل في سلامة الأعضاء واتحادها وعملها، والى نتيجة الوقوع في الخطأ. والبعد عن

المفاهيم الاجتماعية الصحيحة. والنفور من اللياقة الانسانية. وكره العلاقات الخيرة. فتتولد عند ذلك الأنانية والطمع. والجشع وغيرها من الامراض النفسية المذمومة.

والصحة السليمة تؤدي الى الانسجام الكلي في عمل الإنسان المادي والروحي. وتقود الى راحة البال، والانصراف الى التفكير القويم في التطلع الى المجاهيل لكشف غموضها والسعي الى فهمها وعلاقة الانسان الغيبية بها. فيرتقي فكره وتسمو رغباته مرتفعاً عن طين الغرائز.

وعند ذلك يضيء نور العقل ظلام ما خفي.

مراتب الأجاويد

يسمي الدروز رجل الدين جُويداً، إمعاناً في التواضع واحتراماً للحقيقة.

إذ إن الجويد هو مصغر جيّد. فالجودة هي نوع من الكمال. لا يبلغه الإنسان في هذه الدنيا، إلا إذا صفت نفسه. وطهرت نواياه. واستضاء عقله بالنور الشعشعاني. وانكشفت له أبواب المعرفة والعرفان. وغلبه الشوق. وعاش في التأمل منصرفاً الى مناجاة خالقه. واستشف روح الله في روحه. وصورة الله في صورته. وانجلت له معالم الذات الكلية من خلال ذاته.

ولا يمكن لجويد أن يتقبل غروراً يدفعه الى بلوغ هذه المرتبة من العرفان. لذلك فهو في عرف نفسه جويد لا أكثر.

والأجاويد مراتب ودرجات لا يختلفون بالسلوك والآداب. بل بالمعارف الروحانية والتضلع في الدين.

فمن قرأ الحكمة. وكان منفتح القلب. نيِّر العقل. صافي الذهن. لطيف الإحساس. قوي المشاهدة. متفهماً الحياة. عارفاً علاقته الأولى واتحاده الاخير. مضطلعاً على الفلسفة. كثير التأمل، منشغفاً في المعرفة الروحانية. معلماً هادياً، كان من الطبقة الأولى التي بلغ فيها الوعي الروحي مبلغاً عظيماً. وهذه مرتبة الحكماء والأولياء والأئمة.

ومن قرأ الحكمة وحفظها غيباً. وكان تقياً ورعاً. مخلصاً لنفسه ولأخوانه. وديعاً يحترم الوصايا. لا يقول إلا الحق. منصرفاً عن متاع الدنيا جاهداً في العبادة والزهد. يجعل عقله رقيباً دائماً على أفعاله. رضياً محباً. مسلماً أمره لله. لا يشكو من القدر. ولا يعترض على ما جاء من الباري. يجعل أكثر أوقاته في القراءة الروحية ليزيد من صفاء نفسه وطهارة قلبه، كان من الطبقة

الثانية التقية المخلصة. ونذكر منهم الشيخ أبو حسين محمود فرج من عبيه. والشيخ ابو حسن عارف حلاوي من معسريتي. والشيخ ابو يوسف أمين طريف من فلسطين (جولس). والشيخ أبو محمد صالح العنداري من العبادية.

أما من كان مؤمناً من غير علم. لا يحوي في فكره أبعاد الحياة الأزلية. ولا تنكشف له المعارف النورانية كشفاً كافياً، بل تبرز له في شيء من ضباب العرفان. وكان متمسكاً بالسلوك التوحيدي العام، كان من الطبقة الثالثة التي هي أكثر الطبقات الدينية عدداً.

وأجاويد هذه الطبقة يعيشون عيشة عادية. ويمارسون أعمالاً عادية. ويتعاطون مع الناس بشكل عادي كذلك كأي إنسان يتمتع بالخلق القويم والضمير الحي.

والأجاويد أنفسهم يدركون هذه الطبقات فيما بينهم. فلا يتقدم جويد على من هو أرفع منه مرتبة في الدين. وإذا ضمهم مجلس تكون الكلمة الأولى وكلمة الفصل لأعلى الحاضرين مرتبة في التقوى وفي التوحيد.

والأجاويد أبناء الحكمة.
في سلوكهم نورها
وفي صحتهم كشفها
وفي وداعتهم حقيقتها.

بيوت الأجاويد

ليس البيت مقراً للجسد فحسب. إنه مقر لراحة النفس. وسلامة الذوق. ونظافة الطوية.

والبيت السعيد هو الذي تغمره المحبة. وتعشعش فيه الفضيلة. وتزينه القناعة. ويرفعه الذوق وتتألق فيه النظافة. ويجمله الترتيب. ويحفظ هيبته الانسجام.

ليس البيت بطنافسه الحريرية وذهبه وأبهته وزخارفه. بل براحة النظر إليه. وبساطته وتناغم ما فيه وتآلفه.

والبيت مأوى لا يقي فقط من مياه الأمطار وعصف الرياح وحرارة الشمس. لكنه منبت العفة والتربية. يقي النفس من الرذيلة. والفكر من الضياع والعقل من التشرد والأخلاق من الانفلات والانحلال.

إنه موطن القيم والحب والتضحية والإيثار. لذلك يجب أن يكون على مرتبة سامية من المظهر الوديع. والبساطة الغنية. والجو المتزن الهادىء، القانع، الهنيء.

غناه في الروح المتجلي فيه.
وقيمته في الاشعاع النفسي الطالع من ثناياه.

وبيوت الأجاويد هي الصورة الصادقة لما تحدثنا عنه... غرف تقتصر على بسط تغطي الأرض ومقاعد منخفضة لا تعلو عن الأرض أكثر من عشرة سنتميترات تلف الغرفة بأكملها. ومساند تتكىء إلى الحيطان، يلقي اليها القاعدون ظهورهم.

ليس في الغرف زخارف. فهي بعيدة عن الترف. في تقشفها جمال ورونق. وفي بساطتها بهجة وترتيب وراحة للنظر.

في بعدها عن التكلف سلامة للذوق والشعور، يتجلى فيها روح التواضع والثقة والعيش الطبيعي السليم، الهادىء، الغني بالتقوى والإيمان وفهم الحياة، والارتياح التام في القعود الذي يهتم براحة الجسم واحترام الاعضاء.

وراحة البدن تؤدي الى راحة الأعصاب والنفس والسريرة. وملامسة الإنسان الأرض في قعوده تمنحه طمأنينة، ونوعاً من الفرح الخفي يظهر في سكون الأعضاء وهدوء الأعصاب.

بيوت الأجاويد منازل البركة.

لباس الأجاويد

لا شك أن اللباس يدل على شخصية الانسان. فهو الصورة لمفهومه في الحياة.. في الشعور والأفكار. كان ذلك في اللونِ أو في القماش أو في التفصيل.

اللباس الضيق يدل على القلق. واضطراب الاعصاب. وضيق الأفق. واللباس الفضفاض دليل على الاتزان والهدوء وبعد الأفق. كما أن الألوان الزاهية البراقة تعكس جهالة النفس وقصر النظر. والفرح الموتور والخلق النزق الحائر.

والألوان الرصينة التي تميل الى القتامة، تعطي الصورة الواضحة عن الرصانة. والعمق في التفكير، والواقعية، والقيمة المعنوية.

وأفضل الألوان الزاهية الأبيض الذي يدل على صفاء النفس وطهارة القلب والطيبة. والأجاويد يلبسون الأسود... سروان أسود فضفاض، فوقه سترة واسعة سوداء. كما يضعون على رؤوسهم عمائم بيضاء اسطوانية الشكل.

أما الأجاويد الذين يقومون بأعمال مختلفة خارج البيت، فيضعون على رؤوسهم قلنسوات صغيرة بيضاء.

ويلبس الأجاويد المتقشفون عباءة بيضاء مقلمة بخطوط سوداء عريضة تذهب طولاً. وهي دلالة على التقشف لأنها منسوجة من صوف خشن سميك الخيوط.

أما العباءة السوداء المقلمة بالأزرق، فلا يلبسها الجويد بإرادته ساعة

يشاء. إذ هي محظورة إلا عن الأتقياء الذين يعترف لهم الأجاويد عامة بالتقى والورع الشديد.

يجتمع هؤلاء الأجاويد، ويقررون إلباس العباءة هذه لأحدهم. فتقدم اليه في جلسة ذكر في إحدى الخلوات.

العمامة الاسطوانية يضعها كل جويد على رأسه، فهي دليل انتسابه الى المشايخ المتدينين.

أما العمامة المكورة «المكولسة» حسب التعبير التوحيدي، فلا يضعها الجويد على رأسه من تلقاء نفسه، أو في رضى مجلس بلدته، إذ هي محظورة إلا عن الجويد الذي بلغ مرتبة سامية راقية في التوحيد، وأقر له الأجاويد عامة بالورع الشديد، والتقوى القصوى، فيجتمعون عند ذلك ويقررون تقديم هذه العمامة إليه، على شرط أن يلبسه إياها تقي اعتمر قبله هذه العمامة المكولسة.

سلوك الأجاويد

لا يتفوه الجويد بكلمة نابية. ولا يعرض نفسه للمشاكل. وكثيراً ما يكسر جانبه إذا واجهه خصم سليط اللسان. وإذا شتم فلا يرد الشتيمة بمثلها. وإنما يكتفي بالرد على شاتمه «الله يسامحك».

لكنه الى ذلك مقاتل عنيد إذا اعتدي على أرضه أو عرضه. ويحمل السلاح في زهو وفخار، متقدماً الشبان في المعارك مع الأعداء.

وهو لا يدخن ولا يشرب الخمر. ولا يجالس الشاربين. ولا يحضر مجالس اللهو. غضيض الطرف أمام النساء. لا يسلم عليهن بالأيدي مكتفياً بإلقاء السلام عن بعد.

وهو صادق إذا وعد فهو لا يخلف وعداً. لذلك يتريث في أي وعد يسوقه الى محدثه. وإذا نوى على أمر فلا يخرج عليه، ولا يبدل مكانه ولا زمانه. يتلقى ضربات القدر في صبر مذهل. فالرضى والتسليم عنده من أهم ركائز الدين. لذلك تراه هادىء الأعصاب. رضي النفس، مرتاح البال، سليم الطوية، طويل الأناة.

وهو يحب التنقل مشياً إذا سمح له بذلك طول المسافة، لأنه يعتبر أن المشي علاوة على أنه رياضة جسدية صحية، فهو يزيد في أجره وشوقه الى الله. ففي روح الطبيعة والتأمل فيها، غوص في الوجود، واستكشاف لإصالة منبتنا وعودتنا.

والأجاويد ليسوا عبيد التمدن المقلوب. ولا أصناماً يصبها جيلنا الجاهل بيديه الملوثتين بمرض الجشع والارتجال والضعف الروحي... هذا الجيل الذي يرى الحضارة في ظاهر الأشياء لا في بواطنها.

إنهم يعتقدون أن الإنسان المتحضر، هو من آمن بأن نظافة داخله ومحبته وعرفانه وشوقه الى المثل هي وحدها عناصر الحضارة الحقيقية. فالإنسان ليس بلباسه. بل بسلوكه الاجتماعي الذي يستنير بنور العقل ويهتدي بإرشاد الحكمة.

وهم طاهرو العين. ومن طهرت عينه طهر قلبه وجسده. فالعين الشريرة تجعل الفكر شريراً. والعين الوسخة تقود الفكر الى الرذيلة. أما العين المحبة فلا يبدر من صاحبها إلا الحب والطيبة.

وهم لا يتعاطون السياسة بمفهومها العادي. ليست السياسة بالنسبة إليهم رضوخاً للأمر الواقع أو مسايرة للأحداث. إنها عندهم انتصار على الفساد، ومقاومة للشر، وتربية أخلاقية نحو حضارة حقيقية داخل النفس، ومدرسة تخرج الصادقين والأوفياء، والمحبين، والساعين الى الكسب الحلال، وتعلم الحكمة التي تنير الطريق الى الايمان بالله.

فالسياسة تحتاج الى العلم والمعرفة والفلسفة والاخلاق وفهم الكون والإنسان. والانصراف التام الى مقاومة الفساد لينتصر الخير.

والسياسة حكمة لا يفهمها ولا يتعاطاها بحق، إلا الحكماء المصلحون الذين يمثلون فضائل المجتمع، ويمارسونها في سبيل رفعة الإنسان وخيره وسعادته.

أما الساسة الذين يبرزون في حياتنا الحاضرة، فليسوا رجال سياسة في شيء. لأنهم يكذبون والكذب ممقوت. ويعملون غير ما يضمرون وهذا مرفوض. ويسايرون أكثر الأحيان مسايرة بعيدة عن النظافة والأمانة، في سبيل مأرب شخصي. وهذا مناف للأخلاق. ويراؤون، ويتلونون، ويتقلبون، ويكذبون. وهذا ما لا ترضاه الفضيلة ولا يقره الخق.

إذاً، هم بعيدون عن رجال الحكم. يمارسون الحكم على أنفسهم

ليكونوا صورة الصلاح، ومنهج الفضيلة. ويعملون ـ وهذه هي السياسة عندهم ـ على التقرب الى الله عن طريق حسن العمل، ومحبة الإنسان واحترام الطبيعة والبعد عن الإساءة. والانصراف التام الى نشر الطمأنينة على الأرض في نفوس الناس أجمعين.

لا يمشي الجويد خلف المرأة، بل هو دائماً يتقدمها في الطريق، حفاظاً على طهارة العين ونقاوة القلب.

وهو لا يدخل بيتاً يخلو من الرجال. ولا يجالس وحيداً أية امرأة إلا إذا كانت زوجته أو أخته أو ابنته.

وهو لا يأبه للمظاهر، فبيته خال من الترف والأبهة والزخرف ومظاهر الغنى. لكنه نظيف، مرتب، ترتاح اليه العين ويستسيغه الذوق وتطمئن إليه النفس.

وبيته البسيط، الغني ببساطة مفروشاته. تعبير عن مفهومه التوحيدي ونظرته الى الحياة. إنه يحترم زوجته احتراماً تاماً، يحترمها حين يناديها ويحترمها حين يطلب منها قضاء أية حاجة له، أو حين يناقشها في أي أمر. إنها بالنسبة اليه صورة الحشمة والرأفة والمحبة والدفء الروحي.

ويمكنك أن تكشف ذلك إذا زرته أو عدته. ولا أعتقد أن هناك من يساويه في أدب الحياة على اختلاف وجوهه.

بيته ساكن هادىء. لا يرتفع فيه صوت. وحديثه مع أهل بيته منخفض كالهمس.

بعض الأجاويد البالغين قمة الجودة، يتزوجون زيجة نظر، أي أنهم لا يقتربون من فراش الزوجة. فتكون الزوجة بمثابة الأخت أو الأم. لأن الشهوة الحسية ليست طلباً بحد ذاتها. إنها وسيلة لإنجاب الأولاد وبناء الجنس

البشري، فإذا لم يكن في الرجل رغبة في الإنجاب، فعليه ألا يجعل هذه الشهوة بهيمية.

والمرأة ليست غذاء للجسد. بل غذاء للروح وتوحداً وحباً وجمالاً. ويبلغ بعض الاجاويد الطهر والرفعة الى أن يعصموا أنفسهم عن أية شهوة جنسية منذ مطلع الشباب.

وهذا الأمر ليس مستهجناً بالنسبة إليهم. لأنه نهاية حيوات سابقة تخلوا فيها عن شهواتهم البهيمية عبر الأدوار المتعاقبة.

والأجاويد مشهورون جداً بدقة سلوكهم العام حتى في الكلام. يحافظون على الصدق في الحديث، معتبرين أن الإيمان لا يتم بدونه. لذلك لا يقولون قولاً فيه شك ولو قليلاً، ويحاسبون أنفسهم في صرامة تامة، إذا زلَّ بهم اللسان في قول ليس فيه يقين.

ويروي أحد الأجاويد، إبان ثورة الدروز ما يلي:

«مرّ ذات يوم رجال أمن في جرمانا وهي ضاحية في دمشق يسكنها الدروز- ورجال الأمن كانوا تابعين للسلطات الفرنسية - وسألوا شيخاً كان يسير في الطريق عما إذا كان رأى ثواراً في البلدة. فأجاب الشيخ على الفور «اسألوا غيري». كان لا يريد أن يقول لا فيرتكب إثم الكذب، ولا يريد أن يقول نعم فيلحق الضرر بالثائرين».

ويروى كذلك:

«إن جويداً جليلاً لم يسبق أن زل لسانه بغير قول الحق. فتآمر عليه بعض الجهال. عازمين أن يوقعوه بكذبة ولو خفيفة يأخذونها عليه.

جاؤوه مرة بعد أن أرسلوا إليه رجلاً يزوره. واتفقوا مع الرجل أن يخرج من نافذة غرفة الشيخ حالما يطرقون الباب ويذهب الشيخ لفتحه.

ولما خرج الشيخ للقائهم سألوه:

ـ هل فلان عندك؟

فأجابهم:

ـ كان عندي قبل أن أخرج من الغرفة».

وهنا تبرز الدقة المتناهية في الكلام.

* * *

وعن حلم الأجاويد نذكر هذه الحادثة:

«شردت ذات يوماً بقرة «بكيرة» لأحد الاجاويد في الشويفات، ويقال إنه من بيت أبي نعيم، وراحت تعدو هاربة بعد أن مرت عليها أيام مربوطة الى معلفها.

أخذ الجويد الكريم يعدو خلفها ويناديها وهي ممعنة في الهرب. قطعت في ركضها الزيتون الكثيف في صحراء الشويفات نحو الجنوب في السهل الذي كان في ذلك الوقت خالياً من الأبنية والسكان، وهو يركض في أثرها حتى وصلت بلدة الدامور. وهناك أخذ منها التعب مأخذاً قوياً فتوقفت لاهثة.

اقترب منها صاحبها الشيخ الجويد وربت على رقبتها قائلاً لها في هدوء:

ـ يا مباركة أتعبت نفسك وأتعبتني.

ثم عاد بها الى الشويفات دون أن يبدو عليه أي أثر للانفعال وفقد الأعصاب.

كتب للمؤلف

في التاريخ:

١ ـ واقع الدروز وتاريخ دير القمر
٢ ـ واقع الدروز
٣ ـ وعادت الأرض
٤ ـ نور الحكمة ـ سلوك الأجاويد
٥ ـ الأصفياء
٦ ـ تاريخ القرى
٧ ـ تاريخ الموحدين الدروز في بيروت
٨ ـ الظاهر الخفي

في القصة:

١ ـ ومعي أمي
مدى العمر
٣ ـ دوامة القدر
٤ ـ سيليستا اللبنانية
٥ ـ على طريق المطار
٦ ـ العسل الكذوب
٧ ـ وداعاً أيها التراب
٨ ـ المقهى المظلم
٩ ـ أحرقوا المدينة

في الشعر:

١ ـ سنابل الستين
٢ ـ أزهار كانون

في الرسالة:

رسائل حب

في الترجمة:

١ ـ ثورة الدروز وتمرد دمشق
٢ ـ الدولة الدرزية
٣ ـ الأم
٤ ـ مدام بوڤاري
٥ ـ رسائل من طاحونتي
٦ ـ من الأرض الى القمر
٧ ـ مرتفعات وذرنج
٨ ـ قصة حب
٩ ـ كيف تكتب رسالة

كما ترأس إصدار مجلة الرؤية الثقافية سنة ١٩٩٠م.

مراجع الكتاب

ـ التنوخي : عجاج نويهض .
ـ عمدة العارفين : الأشرفاني .
ـ مقدمة الروض الشقيق : شكيب ارسلان .
ـ هذه وصيتي : كمال جنبلاط .
ـ المعجم العربي المستعجم : كمال ابو مصلح .
ـ الدروز : سليم بواسماعيل .
ـ اقطاعية الجرد : عبد المجيد عبد الملك .
ـ أخبار الأعيان : طنوس الشدياق .
ـ الدولة الدرزية : ترجمة وتعليق حافظ ابو مصلح .
ـ تاريخ لبنان الحديث : كمال الصليبي .
ـ الغرر الحسان : حيدر أحمد الشهابي .
ـ آل تلحوق في لبنان : ملحم تلحوق .
ـ لبنان في التاريخ : فيليب حتي .
ـ طائفة الدروز : محمد كامل حسين .
ـ الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه : عبد المنعم ماجد .
ـ تاريخ ابن سباط .
ـ الدروز : الكابتن بودون ـ ترجمة عادل تقي الدين .
ـ الحركات في لبنان : تحري ونص عارف ابو شقرا .
ـ تقويم الأود والسير في الجدد : فريد ابو مصلح .
ـ تاريخ حوران الدامية : حنا بو راشد .
ـ فخر الدين مؤسس الدولة اللبنانية : عزيز الأحدب .

ـ تاريخ لبنان الحديث : ادمون بليبل .
ـ أضواء على تاريخ مذهب الدروز : توفيق سلمان
ـ بنو معروف في التاريخ : سعيد الصغير .
ـ الجذور التاريخية للمسألة اللبنانية : مسعود ضاهر .
ـ أصل الموحدين الدروز : أمين طليع .
ـ جبايا الجواهر : يوسف العقيلي .
ـ منتخب الأسفار : حسن العقيلي .
ـ الدرر المضيئة : ناصر الدين العيد .
ـ الاتجاهات السياسية والاجتماعية في جبل لبنان والمشرق : وجيه كوثراني .
ـ أضواء على مسلك التوحيد : عبد الله النجار .
ـ مجلة الميثاق .
ـ مجلة الضحى .
ـ خمسون سنة في خدمة الوقف والمجتمع الدرزي .
ـ جبل الدروز : حنا أبي راشد .
ـ تاريخ بيروت : عصام شبارو .
ـ سيرة عارف النكدي : بيت اليتيم الدرزي .
ـ كمال جنبلاط الإنسان : كمال ابو مصلح .
ـ لبنان ٤٠٠ سنة من الطائفية : ميلينا كوبان ، ترجمة سمير عطاالله .
ـ إمامة الشهيد وإمامة البطل : فؤاد اسحق الخوري .
ـ فخر الدين المعني الثاني أمير لبنان : ميشال شبلي .
ـ الصليبيون : رضا السيد .
ـ مسلك التوحيد : سامي مكارم .
ـ سلمان الفارسي : الشيخ محمد جواد آل الفقيه .
ـ الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) : سلامة عبيد .
ـ التقمص : أمين طليع .

ــ أهل التوحيد «الدروز» : يوسف سليم الدبيسي .
ــ تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي .
ــ قواعد الآداب وحفظ الأنساب : الكاتب مجهول .
ــ المنفرد بذاته .
ــ الشيخ علي فارس : سامي مكارم .
ــ رجال من بلادي : نجيب البعيني .
ــ تواريخ الأنبياء : حسن اللواساني .
ــ بيروت : مي علوش .
ــ الشيعة ـ المهدي ـ الدروز : عبد المنعم النمر .
ــ حوران الدامية : حنا ابي راشد .
ــ أسلام بلا مذاهب : مصطفى الشكعة .
ــ كتاب مفتوح : عبد الله زين الدين .
ــ بين العقل والنبي .
ــ مصادر العقيدة الدرزية : حامد بن سيرين .
ــ ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها : عبد المنعم ماجد .
ــ الدروز في التاريخ : نجلاء ابو عز الدين .
ــ ابراهيم باشا في سورية : سليمان ابو عز الدين .
ــ ديوان ابن هانىء الاندلسي .
ــ بنو معروف في التاريخ : سعيد الصغيَّر .
ــ شروحات الأمير السيد عبد الله : ق . س .
ــ زعتر بري : أسعد علي .
ــ مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا : تحقيق أحمد غسان سباتو .
ــ حصار بيروت : المكتبة الحديثة .
ــ درة التاج وسلم المعراج : سلمان بن حسين بن نصر .
ــ رسائل الهند .

ـ الجراح زينة الرجال: العقيد مفيد غصن (مخطوطة).
ـ زوبعة الدهور: مارون عبود.
ـ شكيب ارسلان: محمد شيا.
ـ تاريخ المسلمين الموحدين الدروز: صالح زهر الدين.
ـ مذاهب الاسلاميين: عبد الرحمن بدوي.
ـ تاريخ بيروت: صالح بن يحيى.
ـ حضارة الحكمة والحكماء: سعيد حمود ملاعب.
ـ أحاديث شفوية: للشيخ هاني ابو مصلح.
ـ رجال من بلادي: نجيب البعيني.
ـ ولاية بيروت: ر. التميمي ـ م. بهجت.
ـ تاريخ الملك العادل نور الدين محمود: يحيى عمار.
ـ التجربة العسكرية الدرزية: الشيخ رياض تقي الدين.
ـ الموحدون الدروز في الإسلام: الشيخ مرسل نصر.
ـ ذخائر لبنان: عزتلو إبراهيم بك الأسود.
ـ دليل لبنان: « « «



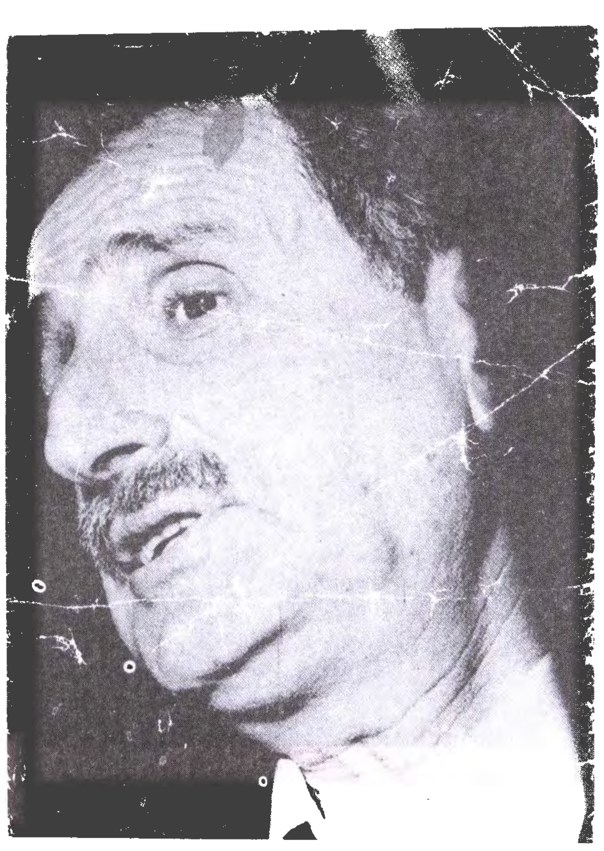
فهرست الكتاب

كمال بك جنبلاط

وعطفاً على هذا الكلام عن الدروز في بيروت، لا بد من الإشارة إلى الزعيم الكبير كمال جنبلاط الذي كسر قمقم الطائفية. وخرج زعيماً عربياً تعدى حدود لبنان، سكن بيروت ليكون قريباً من الشعب عامة، على اختلاف طوائفه ومشاربه.

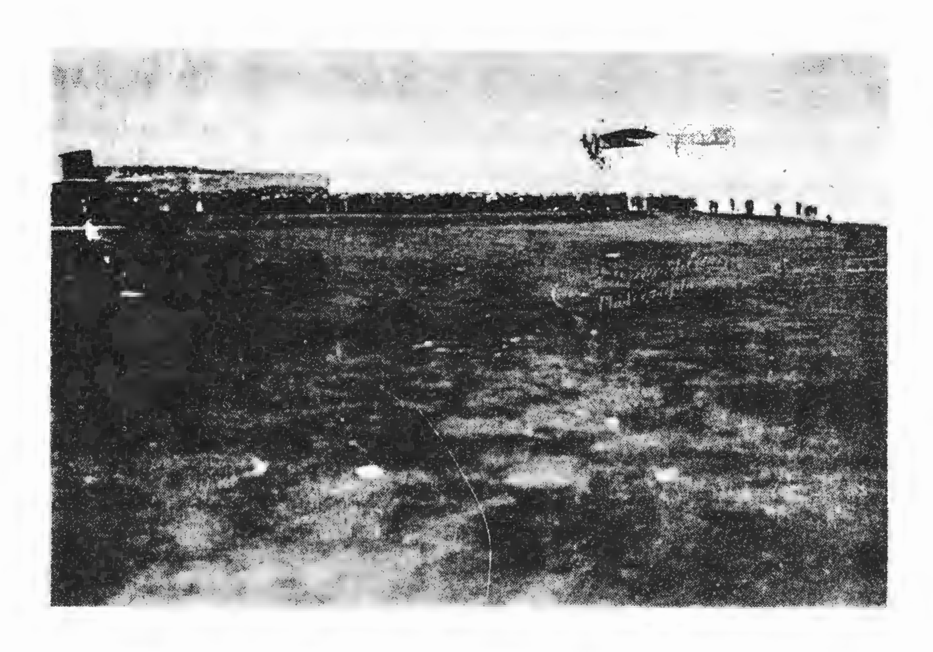
وقد بلغ قوة سياسية وشعبية كان من خلالها يسقط الوزارات، ويتحكم بتأليفها. لكن صدقه وأمانته ومبادئه الإنسانية، وبعد نظره، دفعت جميعها أعداءه إلى اغتياله.

كلُّ طالب وحدة شعبية في بلد الطوائف مآله الموت.



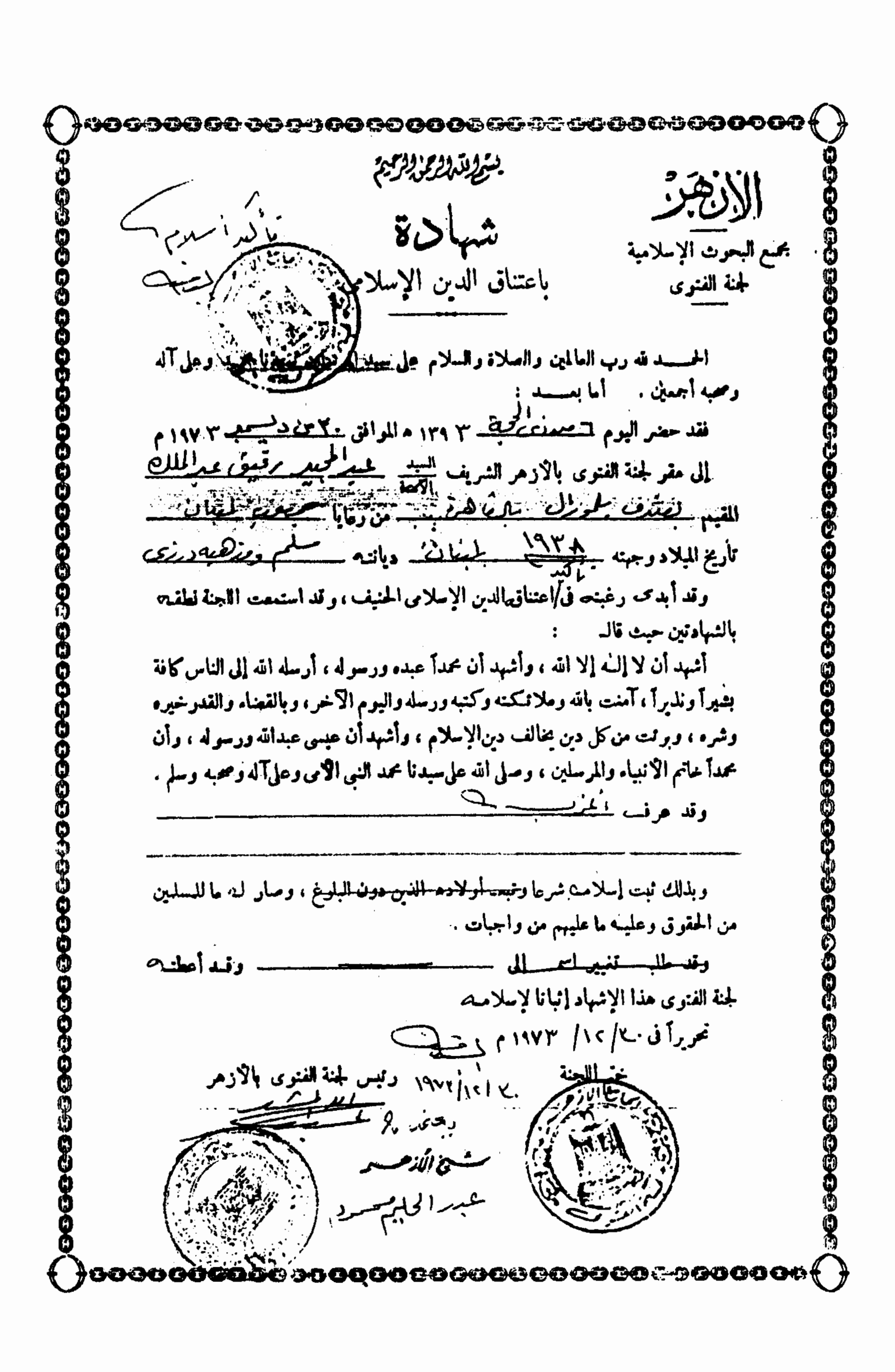


نموذج من الرجل البيروتي بلباسه المميز في العهد العثماني





الطائرة الأولى التي حطّت في بيروت في منطقة الكرنتينا عام ١٩١٣



بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
لجنة الفتوى

شهادة
باعتناق الدين الإسلامي

تأكيد إسلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فقد حضر اليوم ٦ من ذي الحجة ١٣٩٣ هـ الموافق ٣٠ من ديسمبر ١٩٧٣ م

إلى مقر لجنة الفتوى بالأزهر الشريف السيد الأصل عبد الحميد رفيق عبد الملك

المقيم بـ نصيف طوزال شارع هرتفي من رعايا الجمهورية اللبنانية

تاريخ الميلاد وجهته ١٩٣٨ لبنان ديانته مسلم ومذهبه درزي

وقد أبدى رغبته في اعتناق الدين الإسلامي الحنيف ، وقد استمعت اللجنة لنطقه بالشهادتين حيث قال :

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر خيره وشره ، وبرئت من كل دين يخالف دين الإسلام ، وأشهد أن عيسى عبدالله ورسوله ، وأن محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

وقد عرف الحزب

وبذلك ثبت إسلامه شرعا ~~وتبعه أولاده الذين دون البلوغ~~ ، وصار له ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما عليهم من واجبات .

~~وقد طلب تغيير اسمه إلى~~ وقد أعطته لجنة الفتوى هذا الإشهاد إثباتا لإسلامه

تحريراً في ٣٠/ ١٢/ ١٩٧٣ م

ختم اللجنة

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

٣٠/ ١٢/ ١٩٧٣

يعتمد

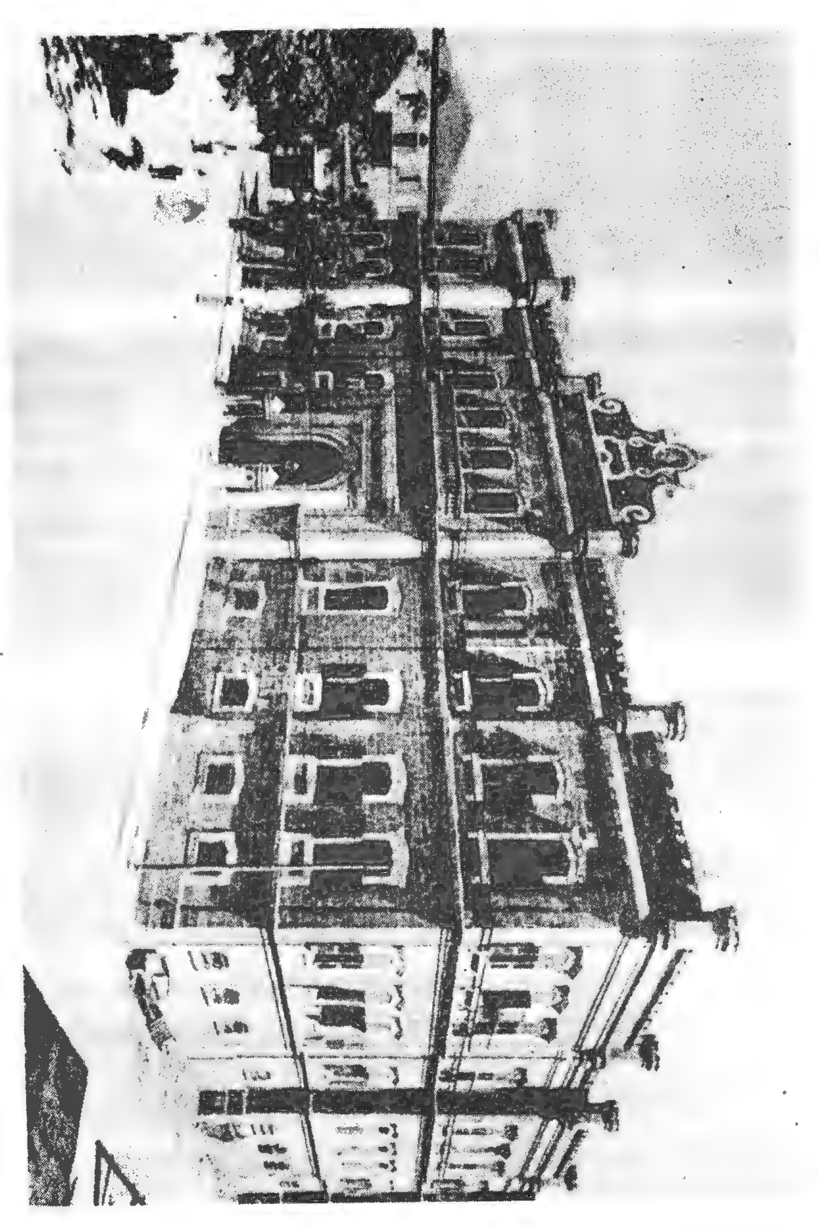
شيخ الأزهر

عبد الحليم محمود


الشيخ محمد ابو شقرا
تاريخ ومروءات.
١٩١٠م – ١٩٩١

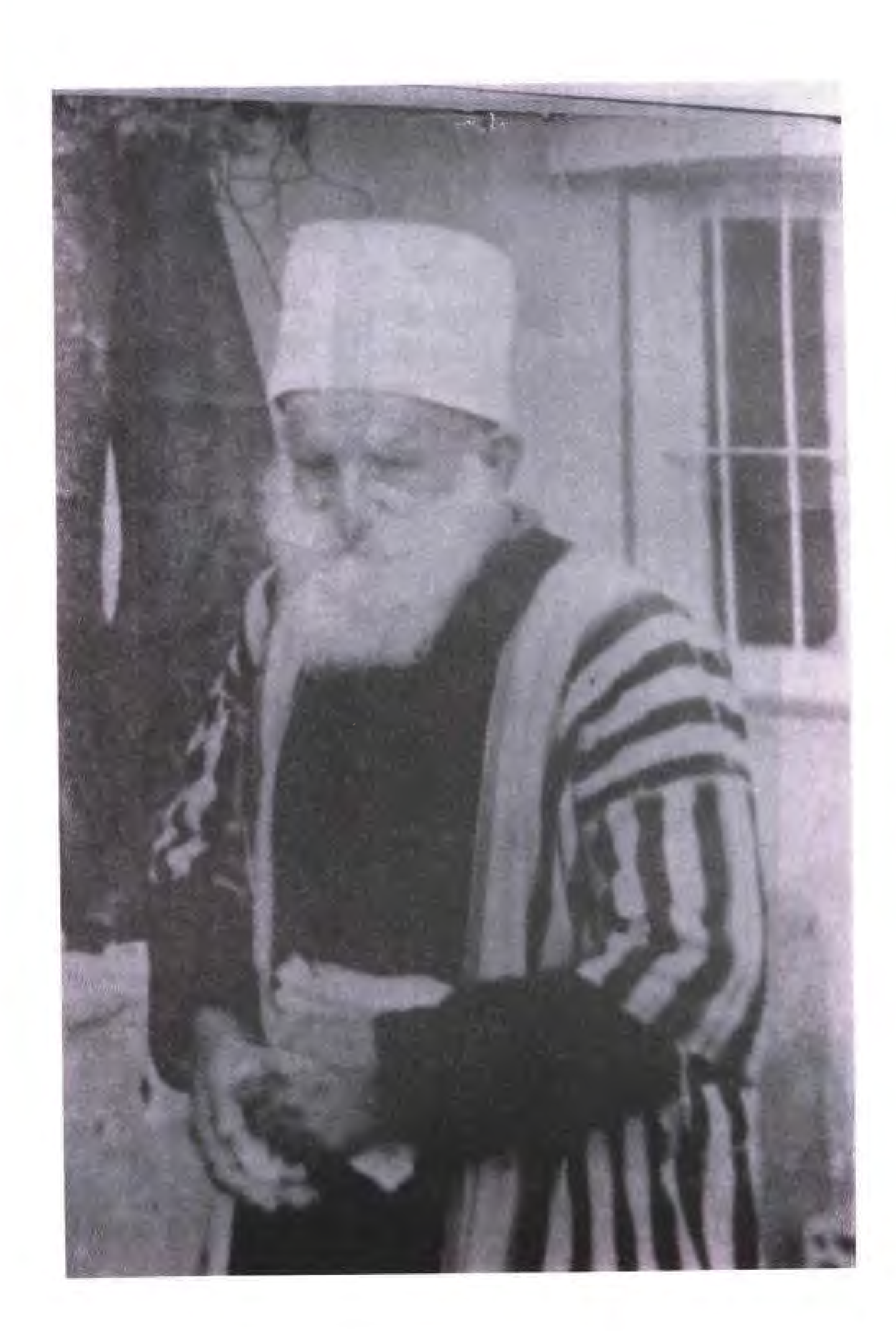


منطقة المنارة حيث تظهر منارة بيروت وبرجها ومنطقة الحمام العسكري



السراي الصغير (قرب سينما ريفولي) في عهد الانتداب الفرنسي حيث تظهر الأبراج العسكرية







جامعة القديس يوسف (اليسوعية)



الأمير مجيد أرسلان

في آخر أيامه





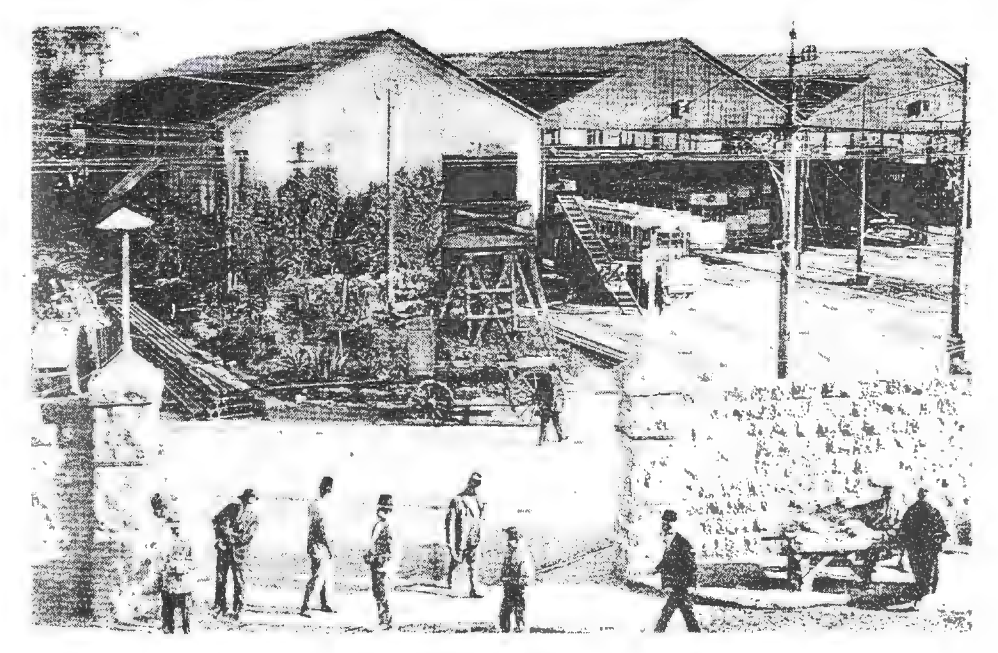
لجنة من النواب شاركوا في وضع الدستور اللبناني ووزراء عام ١٩٢٦. من اليمين الى اليسار: [illegible]
[illegible]







مرفأ بيروت وقلعتها الشهيرة أمام البحر



محطة العربات في بيروت



محطة مبيت الترامواي في بيروت



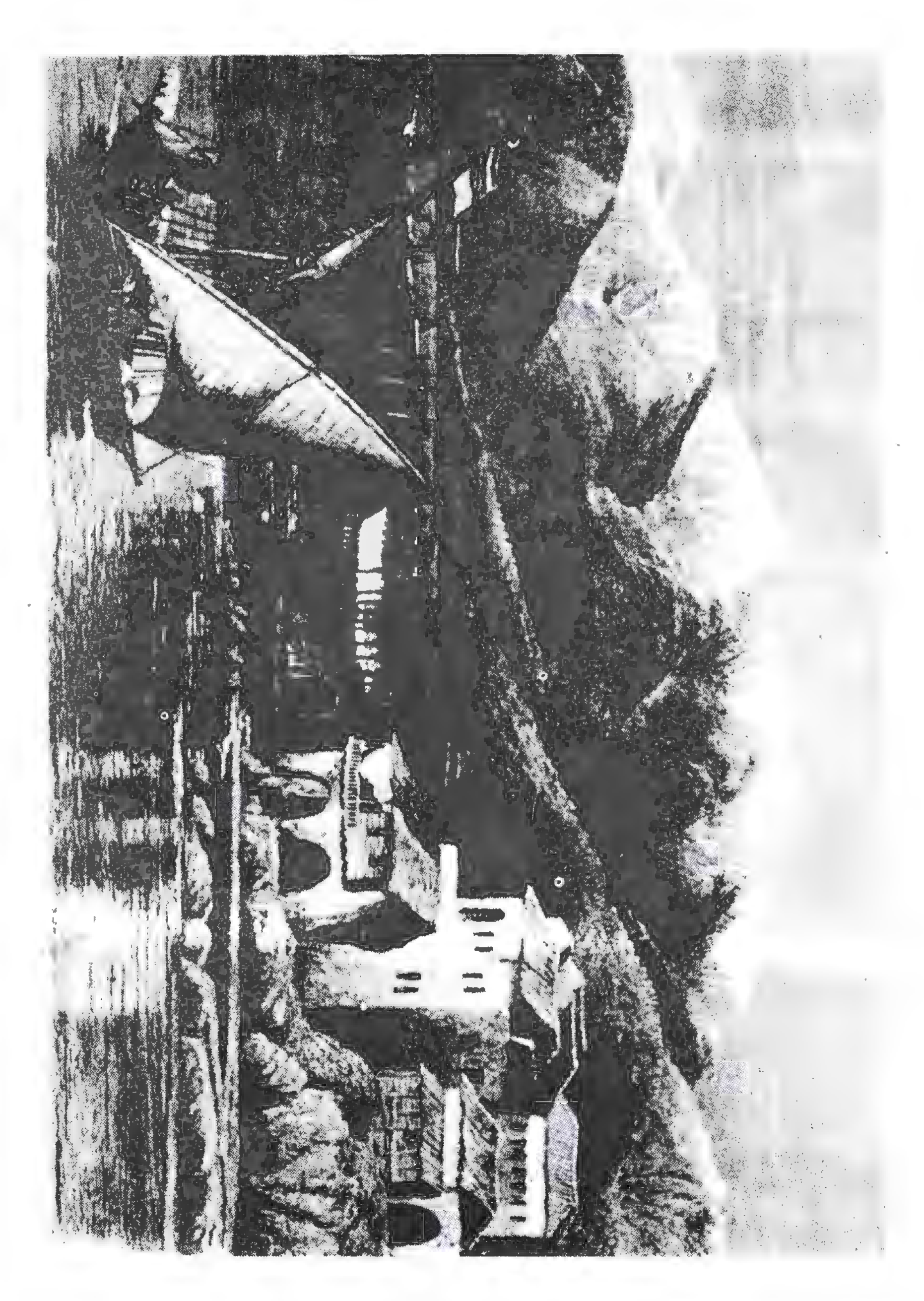


منحوتات مختلفة على قصر الأمير منذر التنوخي

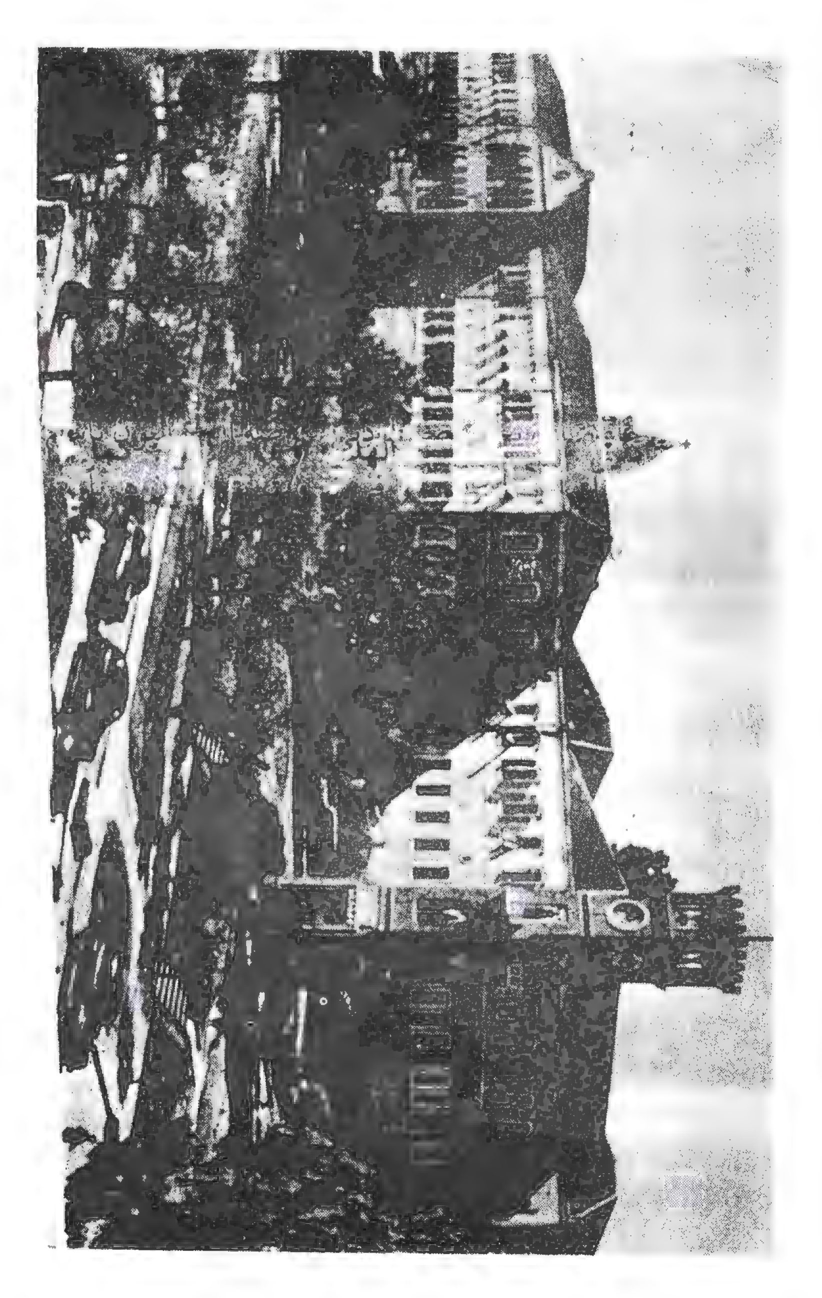
بسم الله الرحمن الرحيم شاد هذا العمار المبارك انشاه الله تعالى فخر الامراء المكرمين الجانب العالي الأمير منذر ابن المرحوم علم الدين سليمان ابن الأمير محمد بتاريخ شهر ذي الحجة من شهور سنة ثلاث وثلاثين بعد الالف وصلى على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

مقسما بما ضمت اباطح مكة
ومنى وآيات الكتاب المنزل
ما قمتها طمع الخلود وانما
هي زينة الدنيا لأهل المنزل.

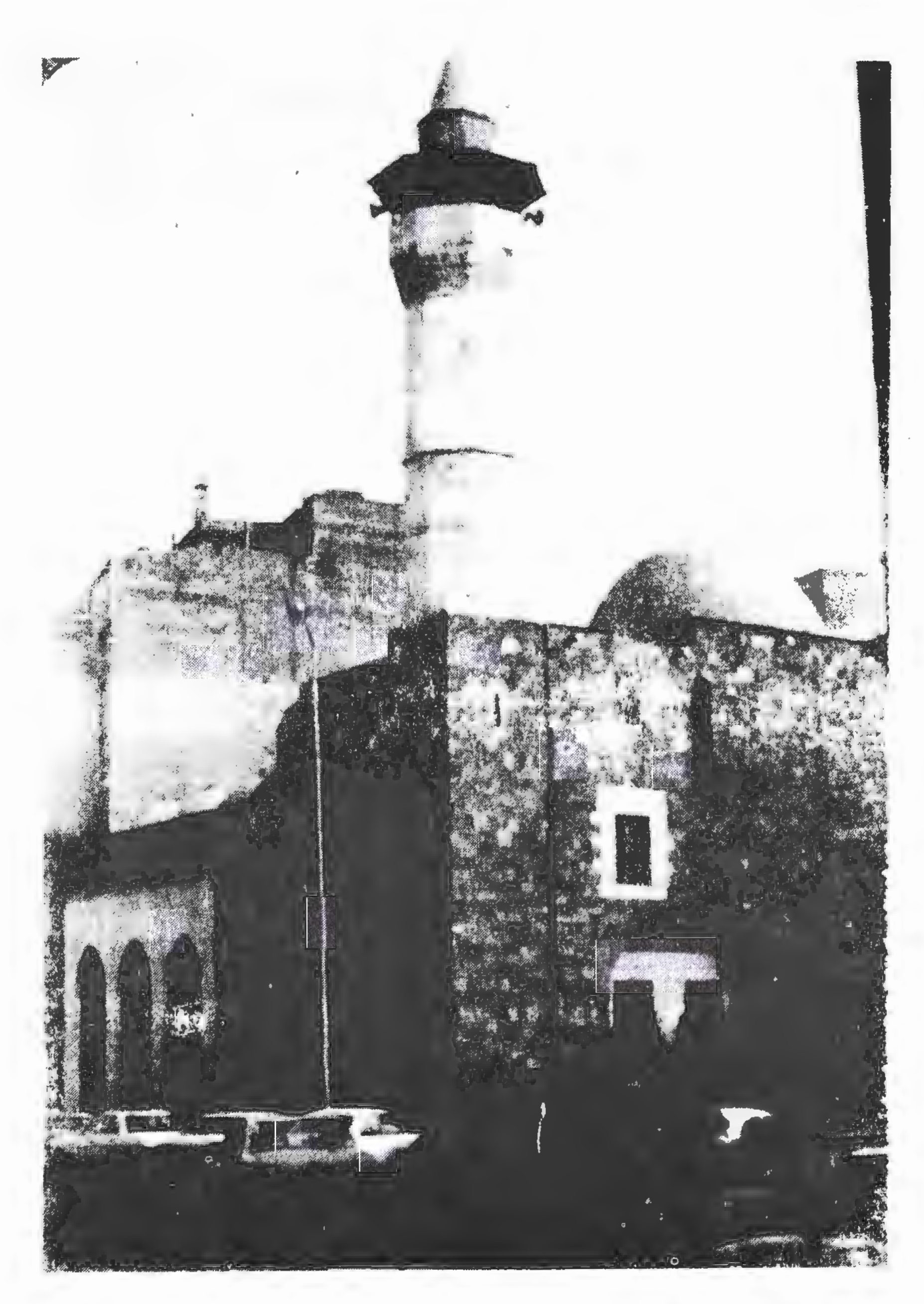




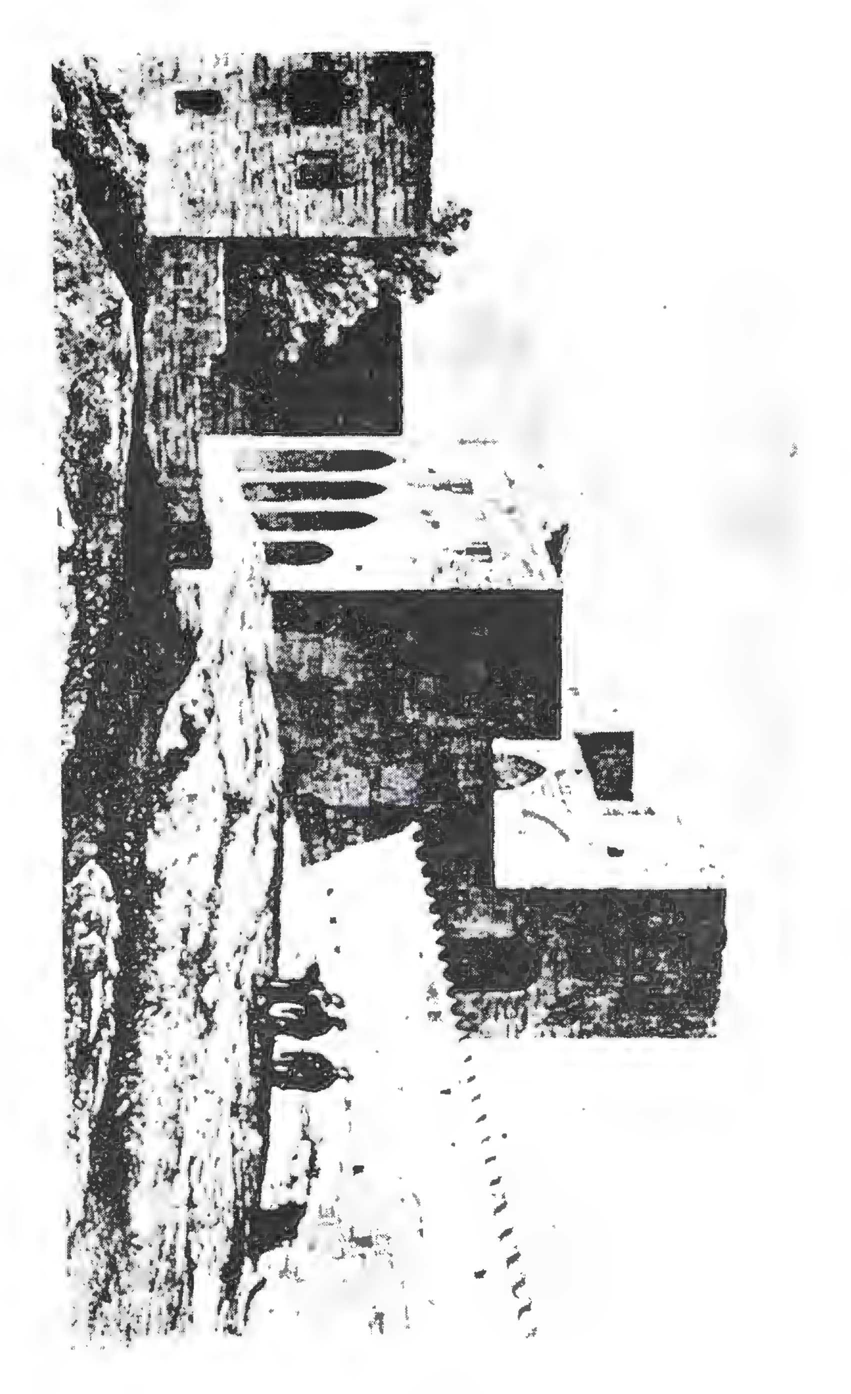
منطقة عين المريسة في أوائل القرن التاسع عشر



السراي الكبير في الخمسينات من القرن العشرين ويظهر أمامه «برج الساعة»



جامع الأمير منذر (النوفرة): المسوحي



سور بيروت



Haut — Commissariat
de la
Republique Rrancaise
en Syrie et au Liban

BEYROUTH , Le 12 Decembre 1933

CONTROLE DES WAKFS ET DE
L'IMMATRICULATION FONCIERE
IO211

Evcellence ,

Vous avez bien voulu me faire part de l'inquietude qui s'est manifestée dans votre communauté a la suite du jugement rendu dans l'affaire hoirs SAYOUR — communauté druze par le tribunal civil mixte de Beyrouth ·

Comme vous en aviez deja Reçu l'assurance, je vous confirme que votre communauté ne sera pas, quelle que soit l'issue judiciaire de l'affaire, depossedée du terrain a usage de cimetiére dont elle jouit actuellement ·

Veuillez agréer , Excellence , les assurances de ma haute consideration ·

Signe : D· de MARTEL

pour ampliation

Son Excellence

Cheikn Hossein Hamadé

Cheikh AKL de la Communauté Druze



الأمير عادل أرسلان
١٨٨٧ - ١٩٥٤

الأمير عادل أرسلان



ترامواي بيروت ومبنى بلدية بيروت أوائل عهد الانتداب الفرنسي

